مذكرات

فى حركة المهدى الفاطمى

(استتار الامام وسيرة جعفر الحاجب)

نص عربى نشره

و. إيڤانوف

مقدمة

هذان المؤلفان — اللذان ينشران هنا — من الكتب التى يحتفظ بها الاسماعيلية المستعلية بالهند — أى البُهرة — كمادتين من مواد أدبهم الدينى الذى لا يسمحون لأحد أن يطلع عليه، وبالرغم من ذلك فقد ترجم غلام على بن اسماعيل أول هذين المؤلفين الى اللغة الكجراتية وطبعه بمطبعة الحجر فى بمبى عام ١٣٣٤ هـ - ١٩١٦ م بعنوان «كشف الظلام فى ترجمة استتار الامام»

لا يعد هذان الكتابان من كتب التاريخ لكنهما مذكرات جمعت عدة حوادث يغلب عليها روح الأساطير، ومع ذلك فهما يجمعان تفاصيل عديدة أكثرها ممتع قيم ومتمم لما رواه الطبرى [ج ٣ ص ٢٢١٧ - ٢٢٤٦] الذى كان يعاصر من ورد ذكرهم فى هذين النصين

أما الكتاب الأول — استتار الامام — فينسب عادة الى رجل إسماعيلى كانت له مكانته الرفيعة هو أحمد بن ابراهيم (أو ابن محمد) النيسابورى ولا نعرف شيئاً عن حياته وكل ما يمكن استخلاصه من كتابه أنه كان يعيش فى أواخر القرن الرابع فى أيام المعز لدين الله الفاطمى

والكتاب الثانى — سيرة جعفر — يختلف فى عبارته عن الكتاب الأول فلا نجد به سرداً متصلاً للحوادث بل هى مذكرات رجل مسن هو محمد بن محمد اليمانى أضاف اليها مذكرات أخرى لبعض زملائه ، وحياة هذا الرجل مجهولة أيضاً ، ويغلب على الظن كما يفهم من كتابه أنه كان خادماً فى البلاط الفاطمى وربما كان على اتصال ببعض الذين اشتركوا فى الحوادث إن لم يكن بجعفر نفسه ، فمن خلال الأسطر التى قدم بها الكتابه يتضح أنه جمع هذا الكتاب لرغبة أبداها العزيز بالله [٣٦٥ - ٣٨٦ ﻫ / ٩٧٥ - ٩٩٦ م] بعد وفاة جعفر نفسه ، وقد ولد جعفر هذا كما جاء فى المذكرات حوالى عام ٢٦٠ ﻫ / ٨٧٤ م ويظهر فى إحدى القصص أنه كان فى سن متقدم جداً حينما كان يتحدث الى المعز بالمنصورية ومن المرجح أنه توفى وقد أربى على الثمانين من عمره فى أوائل حكم المعز أى بعد عام ٣٤١ ﻫ / ٩٥٣ م

نستطيع أن نترك تحليل الناحية التاريخية والأدبية لهذين الكتابين الى البحث الذى سنقدم به ترجمتها الانجليزية — التى سننشرها فى مكان آخر — ولكنا نستطيع أن نشير الى الظواهر الأساسية لهذه القصة التى أرسلت ضوءاً قوياً ما كنا نتوقعه على الحوادث التى سبقت قيام الدولة الفاطمية فى شمال أفريقية ثم فى مصر بل قد تكون سبباً فى قيام هذه الدولة

تحدث المرحوم (دى جويه) فى كتابه «مذكرات فى قرامطة البحرين *Mémoires sur les Carmathes de Bahrein*» عن تاريخ حركة القرامطة حديثاً دقيقاً ولكننا نجده قد خص جزءاً كبيراً بالحديث عن حركة زعيمى القرامطة «صاحب الناقة» و «صاحب الخال» إبنى أبى محمود (أو أبى محمد) زكرويه بن مهرويه اللذين نعجب كل العجب من إشراكهما فى هذا الأمر ، فان هذين الزعيمين يحيى وحسيناً فتحا الشام وامتلكا عدة مدن وحاصرا دمشق وهزما حاكمها طغج ولم يرفعا الحصار إلا بعد أن توفى الأخ الأكبر وبعد أن دفع أهالى دمشق مالاً كثيراً وقد نهبا شمال سورية وقتلا فى سلمية كل الهاشميين ثم جميع أقرباء المهدى . وذهب بعض المؤرخين الى أن الأخ الأصغر ادعى الامامة واتخذ لنفسه اسم أحمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل ... الخ ولكن لا تزال الرواية غريبة جداً فمن الواضح كما أشار «دى جويه» أنه لم تكن هناك صلة بين قرامطة البحرين والقرامطة الشماليين

وهذان الكتابان اللذان بين أيدينا يزيلان هذه الصعوبات بطريق يستحق التنويه بالرغم من أن القصة قد أحيطت بالغموض والابهام فمن الجلى أن الأخين لم يكونا من القرامطة بأى حال من الأحوال وقد ذكر الطبرى [ج ٣ ص ٢٢٤٦] أن كثيراً من الثوار أنكروا قرمطيتهم ولكنه لم يحدثنا بشىء عن الخليفة وهو يسائل زعيمهم بنفسه وهذا يضاعف قيمة ما جاء فى كتاب «استتار الامام» وعلى هذا فقد وضحت الحقيقة الممتعة غير المنتظرة ذلك ان حركة القرامطة بالشام عام ٢٨٩ - ٢٩١ ﻫ / ٩٠٢ - ٩٠٤ م ما هى إلا حركة أريد بها محاولة ما تم فى شمال أفريقية أى الاستيلاء على السلطة وتولية المهدى ، وواضح جداً أن هذه الحركة منيت بالفشل بسبب موت الزعيم الأكبر والتنازع بين الشيوخ الثائرين والمقاومة العنيفة التى كان يبديها الخلفاء العباسيون بالرغم من اضمحلال أمرهم ولو أن الظروف واتتهم وتغيرت قليلاً عما كانت عليه لتحقق غرضهم ولكانت دمشق عاصمة للفاطميين ومركز حركتهم العلمية بدل القاهرة

نستطيع أن نفسر ما أتاه زعيم القرامطة من وحشية منكرة بأنه حنق على المهدى وانتقام منه وقد فقد كل شىء فى هذه الحركة بعد أن أخفق فى الحصول على ما كان يبتغيه

أما العلاقة التى كانت بين المهدى والثوار فى أول هذه الحركة والتى كشف المؤلف عنها القناع بالرغم من أنه حاول قدر استطاعته أن يمحو الصلة بينهم . فهذه العلاقة لها قيمتها فى تفهم الحوادث ويخيل الينا أنها مصدر يعتمد عليه مهما كانت الأخطاء التاريخية العديدة التى ظهرت أثناء تفصيل الحوادث ، وسنوضح هذا كله فى الترجمة الانجليزية كما سنبين العلاقة الخفية بين هذين الكتابين

تغيرت معالم الأماكن التاريخية التى ورد ذكرها فلا نجد فى دمشق بابا يدعى «باب البِزة» أو «المَزة» ومن المرجح جداً أنه «باب توما» الذى يقع فى الشمال بالقرب من المكان المعروف «بماز الكساب» وفى سلمية هدم كل شىء ولم يبق منه أثر حتى ولا آثار الأسوار القديمة؛ والمكان الوحيد الذى يتصل بهذا العصر البعيد هو المكان الذى يسميه أهالى الجهة «بقبر الامام اسماعيل» إذ جاء فى الأسطورة أنه لم يمت بالمدينة ولكنه رحل الى سلمية. وهذا القول لا يؤخذ به مطلقاً لأن سلمية أنشئت فى زمن متأخر عن زمن اسماعيل. وهناك رواية أخرى تقول إنه قبر الامام أحمد — مؤلف رسائل إخوان الصفا — ونحن نستبعد هذا القول أيضاً لأن قبر جد المهدى لا يترك سليما فى بيئة تضطهد المهدى ولكننا نرجح أمراً آخر ذلك أننا نرى هذا الأثر عظيم الحجم مفرطاً فى الطول حتى إنه ليوازى ثلاث أو أربع مرات قوام الرجل العادى فمن المرجح جداً أن يكون هذا القبر العجيب قد بنى فوق مقبرة الهاشميين أو فوق مقبرة أقرباء المهدى الذين قتلهم الثوار

وأختتم هذا بأن أسجل جزيل شكرى الى صديقى بول كراوس ومحمد حسن الأعظمى الهندى وخصوصاً لصديقى محمد كامل حسين لما قاموا به من مساعدات فى نشر وطبع هذين الكتابين اللذين قد يكون لهما قيمة عظيمة لمن يدرس تاريخ الفاطميين

وأرجو أن أوفق قريباً فى نشر الترجمة الانجليزية التى ستكون دراسة نقدية كما سيكون بها المراجع الهامة مع التوضيح

ترجمها للغة العربية
محمد كامل حسين

القاهرة فى ٢ مايو سنة ١٩٣٧

هذا كتاب استتار الامام عليه السلام

وتفرق الدعاة فى الجزائر لطلبه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً كثيراً كما هو أهله ومستحقه، وصلى الله على محمد سيد رسله وأبرار عترته الطاهرين وسلم كثيراً

اعلم علمك الله الرشد أنه أول ما فقد الامام عليه السلام وبقى الدعاة متحيرين اجتمع وجوههم بمدينة عسكر مكرم، وهم سبعة نفر، منهم أبو غفير وأبو سلمة وأبو الحسن بن الترمذى وجياد بن الخشعمى وأحمد بن الموصلى وأبو محمد الكوفى، وهو والد أبى مهزول الذى قتل موالى موالينا أهل البيت صلوات الله عليهم

ولما اجتمع هؤلاء النفر المذكورون قالوا: قد فقدنا إمامنا، ولا صلوة لنا ولا صوم إلا بامام، ولا نعرف من نعطى زكاتنا. واجتمعوا مع الأولياء والمجبين. فجمعوا نفقات وقالوا لهؤلاء الدعاة المذكورين فى صدر الكتاب: أمضوا فافترقوا على عمل خراسان والعراق وجزيرة حران واليمن واطلبوه. فخرجوا فتفرقوا مع كل واحد صفته وحليته، وخرجوا فى هيئة الطوافين على دوابهم أخرجوا فيها الفلفل والريحان والمغازل والمرايا واللبان وما يصلح للنساء من أصناف السقط، وجعلوا بينهم موعداً يجتمعون فيه فى كل إقليم على أقسام لكل واحد منهم قسم يمضى إليه، فاذا فرغوا من الاقليم أتوا إلى الميعاد فيسأل بعضهم بعضاً هل أصبتم شيئاً، فاذا لم يجدوا فى ذلك الموضع شيئاً انتقلوا إلى إقليم آخر فيتواعدوا إلى موضع آخر يجتمعون فيه

وكان إذا اجتمع عليهم النساء والصبيان يسألونهم: هل وقع عندكم رجل من صفته كذا وكذا؟ وكان هذا حالهم فى كل موضع دخلوه، فداروا حلب وإقليم الجزيرة

وغيرها فلم يجدوا شيئاً ، فدخلوا إقليم حمص فنزلوا بمعرة النعمان وجعلوا الميعاد بينهم فى الجامع ، وكان الامام ع م قد وقع فى معرة النعمان فى جبل السماق فى دير يقال له دير عصفورين عند كفر قوم

فخرج أبو غفير ومعه جيادة إلى معرة النعمان فى جبل السماق ، وهو ينادى مغازل لبان مرايا ، فاجتمع إليه النساء والصبيان فسألهم هل وقع عندكم رجل صفته كذا وكذا ؟ فقال له صبى وامرأة هب لنا مما معك ونحن ندلك على هذه الصفة . فوهب لهم مصطكى ولبان وما يصلح للنساء والصبيان وقالوا له الساعة جزنا بدير عصفورين وغلامه واقف على رأسه ، فقال لهم أبو غفير الله الله دلونى على الطريق إلى هذا الدير ، فركب حماره ومضى حتى وصل إلى الدير وأخرج الكتاب الذى معه فيه صفة والحلية ، ولم تكن له معرفة قبل ذلك . ولما وقف عليه عرفه بالصفة ، فنزل وخر لله ساجداً شكراً له إذ وقع عليه وقبل الأرض بين يديه . فقال له من تكون؟ فقال أنا فلان بن فلان ، ونحن سبعة من الدعاة ، لنا اليوم سنة ندور عليك لما فقدناك ، ودعاتك فى جميع البلدان افتقدوك وبقوا حائرين . فقال له يا هذا إنما جئت إلى هذا الموضع لأستر نفسى فيه ، فجئتم لتكشفونى . ولكنك بعد إذ جئت واجتمعت معى فارجع وعرف أصحابك ليجيئوا إلىّ بأجمعهم ، فاجتمع معكم لأعقد عليكم ما ترجعون به إن شاء الله تعالى

فخرج أبو غفير فرحاً مسروراً فاجتمع مع أصحابه وفرحوا بذلك فرحاً شديداً ، فمضوا بجماعتهم إلى دير عصفورين فاجتمعوا معه صلوات الله عليه ، فقال لهم ارجعوا وقولوا لدعاتى إنا قد أصبناه فى موضع كذا . فمضى هؤلاء السبعة فأعلموا جميع الدعاة فى جميع الآفاق ، وقدم إليه جماعة منهم بعد برهة فسلموا عليه وحمدوا الله عز وجل إذ جمع بينهم وبينه فالتفت إلى الدعاة المذكورين فقال لهم : سكنت هذا الموضع فلا أجد فيه دواء لوقته ولا فصداً فى أوانه ولا حماماً . فداروا مدينة شبون ومدينة حماة وكفر طاب ، ثم أتوا إلى سلمية وكانت مدينة محدثة بناها محمد بن عبد الله بن صالح لما أخرجه الخليفة من بغداد ، وقال له أرحل عنى وأطلب لنفسك مدينة تبنى بها وتسكن بها . وكان بها أربعة وعشرون ديراً للنصارى ، فبنى عليها رسوماً وسكن بها مع عبيده وأخرج أهلها منها ، وبعث الى الخليفة ابن عمه ببغداد وقال له : انى قد وقعت فى مدينة فى طرف الدنيا ، ولكن أحب عمارتها فتأمر لى بالنداء فى الأمصار والتجار أن يحضروا سوقها — يعنى سلمية — حتى تعمر فجعل السوق يعمر ثلثة أشهر لا يفتر عنه كل يوم ، فكان التجار يأتون إليه ويتسوقون فيه . وهى مدينة كثيرة الخيرات ، وكان التجار إذا أتوها لا يحبون الزوال منها ويسألون صاحبها أن يسكنوا بها ويأذن لهم ، فيقيمون ويوجهون بياعهم وعبيدهم يحملون إليهم بضائعهم ويسألون المقام معه ، فحصلت سلمية قطائع لأولئك التجار . فقال لهم اختطوا ، فاختط أهل بلخ ، وأهل مدينة الرسول ع م ، وأهل حلب ، وأهل الرقة ، وأهل كل ناحية

وأتى هؤلاء الدعاة الى محمد بن عبد الله بن صالح فقالوا له إن ها هنا رجلاً بصرياً من التجار يسألك فيما يسألك به هؤلاء التجار . فأمرهم أن يطلبوا موضعاً يصلح له ، وفرح به وأنزله فى مجرى المدينة فى ناحية سوقها ، فاشتروا له دار أبى فرحة ونزل ع م بسلمية كسائر التجار . فلما نزل بها زاد دوراً كثيرة وهدم وبنى وتأهل وآتى إليه طوائفه ودعاته وأحدث قصراً شامخاً

وهو عبد الله الأكبر ، وبعث دعاته الى جميع البلدان سراً ، وعزل وولى على أنه رجل تاجر ، وولد له بها أحمد وإبراهيم ، وتوفى وكانت الامامة بعده لأحمد دون إبراهيم ، وولد لأحمد بن عبد الله الامام الحسين وهو والد المهدى ، وسعيد الخير ، وأقام الحسين الى أن ولد له المهدى ع م . فلما أتت نقلته استودع له أخاه سعيد الخير إذ كان ولده يومئذ فى حال الطفولية ، واستبد سعيد بالامامة ونص بها على ولده ، فهلك الولد ، ثم نص على ولده الثانى فهلك ، وكان له عشرة أولاد فلم يزل ينص على كل واحد منهم الى أن هلكوا بأجمعهم ، فعلم حينئذ سعيد الخير أن الحق لا يفارق أهله ،

فتاب وأناب الى الله تبارك وتعالى ، وجمع دعاته وعلمهم أنه مستودع للمهدى صلوات الله وسلامه عليه ، وسلم إليه الامامة واعترف له بالوديعة ، وتنصل إليه مما تقدم منه قبل ذلك ، وصارت الامامة الى المهدى ع م . فقال الشاعر

الله أعطـاك التى لا فوقها ... وكم أرادوا منعها وعوقها
عنك ويأبى الله إلا سوقها ... إليك حتى طوقوك طوقها

فأول ما عمل المهدى ع م بعث فى طلب أبى الحسين بن الأسود الى مدينة حماة ، وكان رجلاً عاقلاً ، فقال يا أبا الحسين قد قدمتك على جميع الدعاة ، فمن قدمت فهو المقدم ، ومن أخرت فهو المؤخر ، وأنت على طريق مصر . وكان الدعاة يأتون الى أبى الحسين ويؤدون إليه زكوتهم وهداياهم ، فيوجه بها أبو الحسين الى المهدى بالله صلوات الله عليه

فأول ما عمل أبو الحسين من تغيير الأحوال لما مات أبو محمد داعى الكوفة ، وكان قد خلف ثلاثة أولاد وهم أبو القاسم وأبو مهزول وأبو العباس ، وكان معهم زوج أختهم فقتلوه وقالوا له أنت مبغض لنا ومخالف على مولانا . وصاحت أختهم وقالت قتلتم زوجى ، فقالوا نعم لأنه منافق . فخلع أبو الحسين أبا القاسم بن أبى محمد عن دعوة الكوفة ، فغضب أبو القاسم واخوته غضباً شديداً ، وكتبوا الى المهدى صلوات الله عليه كتاباً يقولون فيه : لم نزع منا أبو الحسين دعوة الكوفة بلا ذنب ولا خيانة ، فلم يرد عليهم المهدى جواباً . واجتمع الاخوة الثلاثة وتحالفوا وتعاقدوا على أنهم يحدرون الى سلمية فيقتلون ابن البصرى هذا الذى كلف أبا الحسين أن يفعل بنا هذا الفعل ولا نتركه ، وقالوا حتى ينقطع ذكر على بن أبى طالب من الدنيا ، ونقتل بعده أبا الحسين إن قدرنا عليه ، وإلا وشينا بذلك الى عمال الشام

فاتصل ذلك بدعاة بغداد وهم حامد بن العباس وابن عبد وجماعة من الشيعة ، كتبوا الى المهدى ع م أن بنى أبى محمد قد عزموا على قتلك وقتل أهلك ، فان كنت قاعداً فقم ، فانهم قد زحفوا إليك وهم عازمون على قتلك ، فان لم يجدوا الى ذلك سبيلا

وشوا بك الى أحمد بن طولون ، وهم يقولون إنك مخالف للمذهب ويشهرون أمرك ، فاعمل على خلاص نفسك ولا تقم ساعة واحدة

فأمر المهدى ع م فى الوقت الذى وصل إليه هذا الخبر بالرحيل ، فأخذ معه أبا القاسم ولده وجعفر الحاجب وابن بركة الخاضن لا غير ، وترك القصر كما هو بفرشه وستوره وأمواله وعبيده وبنى عمه وبنى أخيه الذكور والاناث وأولاد إبراهيم ، وأوصى على جميع ما خلفه فى القصر من النعمة والرباع والمتاع والمستغلات حسن ابن المعاذ ، وخرج وقت صلوة العصر ولم يعرف به أحد ، وأسلم جميع الأشياء

فلما خرج وصار الى ظاهر المدينة قعد ساعة يشاور نفسه ويستخير الله ربه ، فبعث الى غيلان الرباحى ، وكان رجلا من العرب مذكوراً كان فى قرية يقال لها سلهب ، وكان مطاعاً فى بنى عمه ، فقام إليه غيلان ومعه ثلثون فارساً ، فمشى معه الليل كله حتى وصل الى حمص صلوة الغداة . ورجع عنه غيلان ، وتمادى هو يومه ذلك حتى وصل الى طرابلس الشام ، فأقام بها يوماً واحداً ، ثم توجه الى فلسطين الرملة فأقام بها ثم اتصل به أن أولاد أبى محمد وصلوا الى سلمية وطلبوه ، فلم يجدوه فبعد سنة كاملة قاموا يدورون عليه ، فجاؤا الى أخيه أبى محمد ، فقالوا هو صاحبنا ، فقال لهم أهل سلمية ليس هو صاحبكم ، وقد خرج صاحبكم وهو هرب وهو مستخف بالرملة . فاستقصوا على ذلك فأصابوا الخبر صحيحاً حقاً وأنه بالرملة ، فرجع واحد من أولاد أبى محمد وهو محمد الى العراق ، وبقى أبو القاسم وأبو مهزول بسلمية ، وكانا يكثران الاختلاف الى أبى الحسين الى حماة سراً يستقصون عليه ويرجعون الى سلمية . فلما يئسوا منه وعلموا أنهم لا يجدونه وأنه قد فاتهم خرج أبو القاسم وكان معه دفاتر وكان غلاماً شيطاناً ، وبقى أبو مهزول بسلمية . فتوجه أبو القاسم بن أبى محمد الى القاصيين ، ووقع اختياره عليهم دون القبائل ، وكانت الدعاة تدعو فيهم وكانوا من دعوة أبى الحسين ، قد دعا مشايخهم سعدون بن دعلج من بنى مالك وبنى معرض وبنى هجينى وبنى البلوى وبنى خداش وبنى هذيل وبنى زياد ، فعاقده هؤلاء القبائل وحالفوه وثاروا معه الى

طغج وإلى دمشق ، وكان طغج قد طغى وجار فى دمشق جوراً عظيماً ، فبعثهم الله نقمة عليه وقاتلوه بقرية يقال لها المزة الأباعى ، فهزم طغج هزمة فاضحة ، وقتلوا رجاله وحصروه بدمشق . ثم اجتمعوا أيضاً مرة أخرى بموضع يقال لها المرة على باب المدينة ، فهزموه أيضاً وردوه الى دمشق وضيقوا عليه . فبعث طغج الى بدر الحمامى الى مصر يستنصره ، وقال له إن هذا الرجل قد ضيق على ، فجاءه بدر الحمامى بعسكر مصر فدخل بدر الحمامى دمشق ولم يعرف به القرامطة

وكان أبو مهزول اللعين قد خرج من سلمية حتى وصل الى الرملة ، وأبو القاسم أخوه مقيم على دمشق والقتال فى كل يوم . فلما وصل أبو مهزول الى الرملة وافى جعفر الحاجب فى السوق يشترى حوائج ، فقال له إنسان ممن يعرفه هذا غلام صاحبك الذى تسأل عنه ، فتبع جعفراً حتى دخل الدار معه وقعد له فى الدهليز وقال له : أبلغ مولانا السلام وقل له انى قد جئت أنا أبو مهزول بن أبى محمد ولا بد لى من الاجتماع به ، وإلا صحت وأشهرت أمره . فدخل اليه جعفر الحاجب وعرفه بذلك ، فقال له المهدى ع م بعد أن رآك ووصل إلينا فاصعد به وإلا فهو يشهرنا

وكان المهدى ع م يسكن بالرملة دوراً كثيرة يستتر من دار الى دار ، فصعد إليه فلما رآه قبل الأرض بين يديه ، فرحب به وعظم شأنه ، فقال يا مولانا خرجنا من بلدنا أنا وإخوتى ندور عليك ، فالحمد لله الذى جمع بيننا وبينك ، أخى قدم بالعسكر وحضر دمشق وتركته على أخذها ، فارجع فقد استقام لك الأمر ، فما جئنا من بلدنا إلا لترضى عنا ولا تكن ساخطاً علينا ، وهذا من فعال أبى الحسين الذى أقلقنا وأقلقك ، فان كنت لا تمضى أنت فاكتب كتاباً الى أخى ليرضى عنى فانه ساخط على

فكتب له كتاباً الى أخيه أن ارض عنه ولا تؤذه بشىء ، وأنا قادم فى أثر كتابى . وكتب له الى أبى الحسين كتاباً وأمره أن يدفع إليه خمسمائة دينار من المال الذى له عنده ، فخرج أبو مهزول من عند مولانا المهدى ع م ، فمضى حتى وصل الى أبى الحسين فدفع إليه الكتاب ، وقال له ادفع الى ما أمرك به . فقال أبو الحسين يا ملعون وأين

أصبته ، فقال بالرملة . فدافعه ولم يعطه شيئاً . ورجع أبو مهزول الى أخيه ، وهو على بلد دمشق فقال له جئت يا ملعون والله لأقتلنك ، فدفع إليه الكتاب ، فلما رآه قبله وقرأه ، وقال له أين أصبته يا ملعون ، فقال له بمدينة الرملة واجتمعت معه ، وقال أورأيته ، قال نعم وكتب لى هذا الكتاب الى أبى الحسين بدفع خمسمائة دينار وأوصلته إليه فلم يدفع إلى شيئاً ، وجئت إليك لأعرفك

فعند ذلك جمع مشايخ القاصيين من بنى نضار وقال لهم هذا أخى قد قدم ، ونحن بالغداة نلتقى للقتال على باب المزة ، فبايعوا لأخى فانى غداً أطلع إلى السماء أقيم بها أربعين يوماً وآتى إليكم ، فبايعوا له على أربعين يوماً لا غير . وقال أعطوا أخى خمسمائة فارس يكمن فى هذا الجنان ، فاذا وقع القتال خرج عليهم . فعقدوا ذلك وباتوا عليه وأصبحوا بالغداة إلى القتال ومضى أبو مهزول بالكمين إلى الجنان وزحف طغج وبدر الحمامى ، فقال أبو القاسم لا يحرك أحد من العسكر للقتال حتى ترونى ركبت ناقتى . وأقعد ناقته وأوقف عساكره يميناً وشمالاً ، وهو ينظر فى دفتر وأبو محمد الداعى يختلف إليه ويقول له العدو قد أشرف علينا وتقارب منا ، فيقول له أصبر حتى أقوم . فلما ألح عليه بالكلام وتقارب العدو منه دق التراب ، وقال يا رب أحرق بالنار أبصارهم ، ثم قدمت إليه ناقته ثم قال يا أحمد يا محمد يا نصر الله انزل فحمل العسكران بعضهما على بعض فما كان إلا ساعة حتى ضرب بحربة ضربه بها رجل من عسكر بدر الحمامى ، فانقلب فصاح بدر الحمامى ازلوا جزوا رأسه ، فهو يجز رأسه حتى جاءت زرافة نفط فأحرقت القاتل والمقتول والناقة ، فخرج أبو مهزول لعنه الله بالكمين فرد الهزيمة حتى رجع بدر الحمامى وطغج فقتلا قتلا عظيماً

فلما رجعوا واجتمع جميع العساكر فقالوا صاحبنا صعد إلى السماء ، فافترقوا فقال لهم شيخهم أبو محمد الداعى قد بايعنا لأخيه أربعين يوماً فان هو نزل وإلا فنحن قادرون على أن نفترق ، فصبرهم أربعين يوماً ، وكتب أهل حمص إلى أبى مهزول أن اقدم علينا ودع دمشق فانا فى طاعتك ، فقدم إلى حمص بالعساكر وخلى عن دمشق

ومولانا المهدى ع م فى هذا كله مقيم بالرملة والأخبار تتصل به وتصل إليه ، فلما قدم أبو مهزول إلى حمص أطاعوه وسمعوا له ، وقدم إليه أبو الحسين من حماة للسلام عليه مع مشايخ البلد ، فلما رأى أبا الحسين نظر إليه نظر مغضب ففزع وهرب واختفى عند رجل من أصحابه . فلما أصبحوا دخل المشايخ إليه وسلموا عليه فافتقد أبا الحسين فلم يره فسأله عنه فقالوا هرب ، فأمر بالنداء فنادوا من آوى أبا الحسين فقد حل ماله ودمه . فأقام المنادى ينادى سبعة أيام حتى ظهر أبو الحسين فجاؤا به فقال يا أبا الحسين قد تكاملت ذنوبك ، فقال أبو الحسين لا يكون مع الله إلا خيراً ، وضيق عليه وأركبه جملا مع ولده وشهرهما ونادى عليهما وأنزلهما بعد المناداة عليهما فى فازته مكبلين ، فأتاه مشايخ القاصيين فقالوا له إن هذا الرجل الشيخ نحن من دعوته فلا تحدث فيه حدثاً ، فقال لهم ما يناله منا مكروه ولا يرى إلا خيراً ، ثم رحل من حمص إلى سلمية ومعه أبو الحسين وولده

فنزل بهما بقرية يقال لها فياحة ، ونزل العسكر بها وأمر الفراش أن يحفر فى وسط الفازة حفرة ليدفن فيها أبو الحسن حياً ، فلم يمكن له فى هذا المقام شيء فأصبح العسكر راحلا حتى وصل إلى سلمية ، ونزل العسكر وأبو الحسين معه لم يحدث فيه حدثاً ، وكان نزوله بالعسكر على باب الحفندة فأقام بها ثلثة أيام ، ثم قتل أبو الحسين

وخرج مشايخ الهاشميين فسلموا عليه ومعهم حسن بن معاذ وطوائف المهدى ع م وأهل بيته وقراباته ، وكان أبو محمد أخو المهدى عليلاً فتوفى ذلك اليوم الذى نزل فيه أبو مهزول لعنه الله ، فأقام فيها أياماً كثيرة ، ثم أخذ مشايخ الهاشميين فكبلهم وأخرجهم من دورهم إلى العسكر ، وخلى طوائف المهدى لم يعترض لهم . فلما رأى مشايخ القاصيين ما فعله بالهاشميين اجتمعوا إليه وقالوا : هؤلاء الهاشميين قرابة الخليفة ببغداد ، أطلق سبيلهم . ففعل ذلك ، ثم رحل بالغداة إلى حماة وإلى دار أبى الحسين ودور بنى عثمان بن حجاز ، فنهب جميع ما كان فيها للمهدى ع م ولأبى الحسين ، وكانت دار أبى الحسين خزانة المهدى ع م

ثم أتى الخبر أبا مهزول لعنة الله عليه وهو بحماة أن أبا الأغر السلمى خرج بالعسكر من بغداد يريد إليه ، فعبأ عساكره وأخرج عليها عطر بن القندسى الأحمى فتوجه العسكر الى أبى الأغر ، فوافاه على شاطىء الفرات فالتقوا هناك فانهزم أبو الأغر وأخذت فازته فاحتوا على جميع ما كان له وقتل ولد أبى الأغر ، ووجد فى فازته كتب الهاشميين الذين بسلمية كتبوها الى المعتضد يتنصرون به ويقولون له الحق إطفاء النار قبل أن تشتعل

فلما أتوا الى أبى مهزول وبشروه بهزيمة أبى الأغر ونهب ما كان له فى فازته فأخبروه بما أخذوا من الكتب فأصاب كتب الهاشميين وجمع مشايخ القاصيين وأوقفهم على ما فيها وقال لهم : هؤلاء الذين شفعتم فيهم ، هذه كتبهم كتبوها الى المعتضد ليبرزوا علينا وعليكم العساكر فيقتلونا ويقتلوكم معنا

وفى ذلك كله المهدى ع م مقيم بالرملة وطيب الخاضن يختلف اليه من سلمية الى الرملة يعرفه الأخبار ، ووصلت اليه أم على الى الرملة إذ كان أبو القاسم طلبها وبكى عليها فوصلت اليه وامرأة أخرى فوصلتا جميعاً الى الرملة . وكان بالرملة ينتظر ما يكون من أخبار اللعين أبى مهزول وما يكون من فعله بعد رجوعه من دمشق ووصوله الى سلمية واتصل به ما فعل بأبى الحسين وولده ونهب ماله وإحراق داره

ولما وصلت كتب الهاشميين التى كانت مع ابن أبى الأغر على أنه يوصلها الى المعتضد قال له جميع الدعاة إذا كان الأمر على هذا وقد فعلوا ما فعلوا فشأنك بهم . فوجه فى طلبهم الخيل فأتوا بهم وهم أحمد بن محمد وابراهيم بن محمد وصالح بن محمد وفضل بن عبد الله وعباس بن عبد الله وبلهجة بن عبد الله وجماعة الهاشميين ، وكان جملة عددهم خمسة وتسعين شيخاً ، فوقفوا بين يديه وقالوا له لأى شيء وجهت فى طلبنا ، فدفع اليهم الكتب وقال أليس هذه كتبكم وخطوطكم بأيديكم كتبتم بها الى المعتضد تتنصرون به يوجه الينا بالعساكر؟ فقال أحمد بن محمد وكان لسان القوم : قد فعلنا ذلك ولكن عفوك يلحقنا . قال أبو مهزول لعنه الله لا عفا الله عنى إن

عفوت عنكم ، وأمر بهم أن يجروا بكبولهم الى باب اليهود ، وأمر رجلاً كان يهودياً أسلم على يديه من أهل تدمر أن يضرب رقابهم . ولما كان من الغد بعث خيل العسكر الى دورهم فأحرقوا النساء والصبيان والبنات والأطفال ، وكان عدد من فعل ذلك به مائة وإحدى وأربعين نفساً ، فقتلوا كلهم ، ونادى فى جميع أهل سلمية أن لا يدفن منهم أحد ولا يستر ، ومن سترهم أو غطاهم لزمه عقوبة . فبقوا كذلك حتى أكلتهم الكلاب والطير

واجتمع أهل سلمية ومشى بعضهم الى بعض فقالوا هذه الفعلة التى فعلها هذا الرجل فى الهاشميين ولم يحدث فى قصر المهدى ولا رجاله شيئاً ، فهذا إنما له قام . جعلوا أكثر قنيتهم وأكثر ما كان لهم فى قصر المهدى ليستروا ويصونوا أموالهم

وكان مناظرة القرمطى مع الهاشميين قبل قتلهم أن قال لهم : إنكم السبب على خروج ابن البصرى من هذه المدينة وأخليتم قصره منه وتركتم أولاده وأولاد أخيه يتامى منه . فلما سمع أهل سلمية كلامه معهم أيقنوا أنه لا يفعل فى أهل بيت المهدى إلا خيراً واطمئنوا وأخفوا أموالهم وأمتعتهم فى القصر ، فعند ذلك بعث الى المهدى كتاباً سراً يقول له إنى قتلت أعداءك الذين عملوا على خروجك ودفع ابن عمك وولده الى العراق فى الأول ، فاقدم ولا تتأخر

وكان ذلك مكيدة منه ليطمئن المهدى اليه حتى يرجع ، فلما قرأ المهدى ع م الكتاب كتب اليه قد أحسنت فيما عملته ، ولو لم تفعل هذا ما كنت من شيعتنا وأوليائنا ، وأنا قادم على أثر كتابى هذا إن شاء الله . فلما قرأ الفاسق كتابه فرح به وأطمعه فيه ، وأبى الله أن يتم للفاسق أمله وأن لا يبلغ المهدى ع م ما هو أهله وقرأ أبو مهزول اللعين كتاب الامام على جميع الدعاة وقال لهم إن صاحبكم قادم الى بلده وقصوره ونعمه التى أخرجه منها هؤلاء الفسقة ، ففرح الدعاة وسرهم ذلك . وأقام الفاسق منتظراً لقدوم المهدى ع م أربعة أشهر من أول سنة إحدى وتسعين ومائتين ، وهو منتظر لقدومه حتى وصل اليه الخبر أن محمد بن سليمان قد خرج من

بغداد قادماً اليه ، فأمر تلك الساعة بخروج العسكر فيه ثمانية آلاف فارس وستة عشر ألف راجل ، وقدم عليه عطر بن الكرش وقرميز بن السهم من بنى الأحم ، فالتقوا عسكر محمد بن سليمان بموضع يعرف بقرية السيل ، وبقى الفاسق مقيما بسلمية . وكان الرجال الذين أخرجهم فى العسكر محبين للمهدى ع م وكانوا من دعوة أبى الحسين ودهمهم خروجهم ، فبقى مع جماعة منهم لم يخرجوا فى العسكر

وقال لأولئك الدعاة الذين بقوا معه إنى أحببت أدخل الحمام بمدينة سلمية ، ولم يكن دخل المدينة إلا ذلك اليوم وإنما كان نازلاً بظاهرها ، وكان ذلك حيلة منه لعنه الله لما مضى عنه أولئك الجبون ، وأيس أن المهدى لا يصل وخاف أن يفوته ما يريده ، وحذر من محمد بن سليمان أن يخرجه من البلد ولم يخرج أهل بيت المهدى ع م ومن فى قصره . فأمر له أن يطيب له الحمام فدخل على المدينة على بغلة مزورة من باب الشرق ومعه نحو ألف فارس ، وكان طريق الحمام على باب المهدى ع م ، فدخل الحمام وخرج وأرى أنه خارج الى العسكر حتى جاز ووقف على باب القصر . وكانت جارية المهدى ع م معها ولد يقال له محمد ، فهربت مع داية هذا الصبى لما أحست أن الفاسق دخل من باب القصر الكبير خرجت من الخوخة بولدها ، وكانت هذه الجارية يقال لها لعب قديمة بالقصر لأنها كانت للشيخ محمد بن أحمد ، ثم صارت للمهدى ع م من بعده . فهربت فرآها محمد بن عزيزة وكان عارفاً بها ، فقال للذى كان معه هذه جارية الشيخ هاربة خائفة ، فتبعها ومعه خمسة نفر . فقال لها أين تريدين يا لعب ، فقالت له يامحمد إنا ربيناك أنت وأباك ودخلت علينا ، وهذا الرجل قد دخل قصرنا وليس نعلم ما يريد بنا ، فاسترنا فانه لم يعرف بى أحد غيرك . فقال هاتى جميع ما معك من الحلى وامضى لشغلك ، فأعطته جميع ما معها من الحلى ومضت حتى دخلت دار رجل من التجار يعرف بابن أبى مصحف فقالت له يا محمد استرنى ، فقال لها ادخلى إن كان لم يرك أحد ، وعرفته أن الفاسق قد دخل القصر . وكان قد تبعها أحد الخمسة فعاد الى أصحابه فخبرهم الموضع ، فلما دخل اللعين القصر نصب له كرسى

جديد فى فسقيته ، فقال الدعاة الذين كانوا فى عسكر الفاسق لأبى محمد الداعى : أنت مدل على هذا الرجل فاعرف ما يريد بهذا القصر ، وعرفه أن صاحب هذا القصر له فى رقابنا بيعة وأبو الحسين دعانا لهذا القصر . ودخل اليه أبو محمد فسلم عليه فقال له : يا هذا الرجل أنا رسول الجماعة اليك إنهم يقولون لك إن صاحب هذا القصر له فى رقابنا بيعة فلا تحدث فيه حدثاً ولا تؤذهم بشىء . فقال له الفاسق لا يا أبا محمد لا تحدث فيه حدثاً ، فاخرج وامض الى العسكر وأنا خارج خلفكم

فخرج أبو محمد فعند خروجه أمر الصقالبة بطلب لعب لأنها أقدم من فى القصر وأعلم بمخابئه وأسبابه ، فداروا فلم يجدوا . ووقعت الصيحة لعب لعب ، فقال لهم محمد ابن عزيزة أنا أعرف موضعها وأنا أجىء بها ، فأدخلوه الى القرمطى فقال له امض وجىء بها الساعة . فمشى ابن عزيزة الى دار ابن أبى مصحف ، فدق الباب وقال أخرجى فانا قد أخذنا بك ، وأخرجها صاحب الدار خوفاً على نفسه فأخذها محمد ابن عزيزة مع ولدها ودايته حتى أوصلها الى القرمطى . فسلم عليها سلام مودة ورحب بها وسألها عن مولاها فقال كيف غبت عنا ونحن لا نستغنى عنك ، وما بلغك عن مولاك الهارب منا . فقالت له هو قادم عن قريب إن شاء الله ولا يتأخر أكثر من هذا . ثم قال لها لما فرغ من كلامه معها : وأين مال أحمد وأين مال محمد وأين مال حسين وأين مال هذا القصر وأين مال مولاك الهارب منا ، وأقبل يتجنى عليها قليلاً قليلاً . فقالت له ما أعرف أين أموالهم وأنا محدثة فى هذا القصر ، ثم قالت له كم تطيل الخطاب وتجنى علينا ، إنما دخلت لتقتلنا وتلحقنا بالهاشميين وتقتل الصبيان والله بيننا وبينك ، ثم قالت له يا عدو الله يا لعين نسيت فضل مولاى عليك وعلى أبيك من قبلك وهجمت علينا وروعت أولادنا كفراً بما أنعم الله عليك ونفاقاً على أوليائه . وأسمعته ما يكره لما علمت أنه يريد قتلهم لعنه الله ، ثم قالت يا عدو الله وعدو أوليائه إن عزمت على قتلنا قتلك الله ولعنك ولا بد من ذلك ، فلا تدعنا كما تركت الهاشميين مكشوفين ، فليس نحن مثلهم واسترنا ولا تكشفنا . فقال لها إن

أنا قتلتك أين تريدين أدعك ، قالت استرنا فى هذا الصهريج ، وكان قدامه صهريج ، فأمر الصقالبة أن يدخلوا اليه ابن النداف السياف التدمرى فدخل اليه وسيفه مجرد فى يده ، فقال أضرب عنق هذه وارمها فى هذا . فرميت فى ذلك الصهريج ، وقتل ولدها ومن كان معها . وفرق الصقالبة فأتوا اليه بجميع من فى ذلك القصر من صغير وكبير من الرجال والنساء ، فقتلهم كلهم ورمى بهم فى ذلك الصهريج ، وكانوا ثمانى وثمانين نفساً . فلما أتى عليهم قدموا اليه بغلته فركب ، ووكل بالقصر من يحفظه ويحوط ما فيه

ومضى الى الأخبية فأقام بها سبعة أيام ، ففى اليوم الثامن جاءه عسكره منهزماً هزمه محمد بن سليمان وقتل جميع من فى عسكره من الرجالة وأكثر الخيل . فقيل له قد قتل عسكرك وجاءنا ما لا قوام لنا به ، فارحل معنا ولا تقم ، فان محمد بن سليمان يأخذك ، فقال لهم اقعدوا ، فقالوا له لك فى رقابنا ذمة وقد عرفناك فان كنت ترحل معنا فارحل وإلا فاقعد وحدك . فلما رأى الجد منهم رحل معهم ولم يرده راد عن ساقية تدمر ، ونزلوا ورحل من تدمر الى الورق

فبعد هزيمته لستة أيام وافى محمد بن سليمان بعسكره الى مدينة سلمية فقال لهم أين القرمطى ، فقالوا قد رفع ، فقال قد أمرنى المعتضد إذا انهزم القرمطى أن أضع السيف فى الحضر والبدو ، فقالوا اتق الله قتلنا القرمطى وتقتلنا أنت أيضاً ؟ فقال لهم ما الدليل على هذا ، قالوا له تدخل الينا من تثق به لنوقفه على قتلانا . فلما سمع ذلك منهم أشفق عليهم فقال أغلقوا أبوابكم وحصنوا أنفسكم فان العسكر مقبل عليكم وأخاف أن ينهبكم ، وأنا أدخل إليكم من ينظر قتلاكم إن كان حقاً ما قلتم . فأدخل إليهم محمد بن الديرجى وكان شيخاً ثقة فأوقفوه على القتلى ، فنظر الى الأطفال والنساء فقال قتل الله من فعل هذا . وسأل محمد بن سليمان أين توجه القرمطى ، فقالوا له الى ناحية تدمر ، فوجه فى طلبه ألف فارس ، فقالوا إنه دخل الخضراء فافترق عسكره عنه ونهبوا جميع ما معه ، وقال له مشايخ القاصيين أنت مشومنا ، فهرب على دابته ومعه مال ودخل فى سواد العراق على أنه يدخل موضعاً لا يصاب فيه

فكتب محمد بن سليمان الى المعتضد أن القرمطى قد انهزم عسكره وقتل رجاله وهرب من كان معه وتفرقوا عنه وبقى وحده هارباً ، فمر بأمرك ، فكتب إليه يأمره بالرجوع إلى بغداد . فرجع بعد ذلك . وكان بعده بأربعة أشهر أخذ اللعين القرمطى أبو مهزول على شاطىء الفرات فى موضع يقال له قرقيسيا ، وأخذ معه غلامان ، فرفع الى المعتضد الى بغداد

واتصل بالمهدى ما فعل بالقصر وقتل جميع من كان فيه ، ثم إنه اتصل به أن القرمطى وصل إلى المعتضد ، فدخل من الرملة إلى مصر فأقام مدة . ولما رجع القرمطى إلى بغداد شهر ونودى عليه ونصبت الدكة للمعتضد وفرش له البرمية حتى يشرف على قتله ، وهو يضرب بالسوط فقد يقولون من أنت وأيش أنت وأيش أصلك ولمن كنت تدعوا . فقال لهم ما أنا من أهل الرياسة ولا من أهل القرامطة ، إنما أمرنى بالخروج رجل وهو فلان بن فلان من مدينة سلمية يعنى المهدى ع م ، وهو من صفته كذا وكذا بصفته وحليته ، وكتبت صفته على ما وصف الملعون ، ثم مات لعنه الله بالعذاب وأحرق بالنار

وفرق حينئذ المعتضد البريد فى جميع الآفاق وأمر العمال أن يطلبوا هذه الصفة فلم يجدوه . وكان قد خرج مع تجار بغداد ومع أبى العباس أخى أبى عبد الله إلى طرابلس الغرب ، فقطع عليهم الطريق بالطاحونة ، وضرب أبو العباس أخو أبى عبد الله بسيف على وجهه . فوصلوا إلى طرابلس على ملحق البريد وهو فيها ، فلما وصل الكتاب داروا على الصفة ودخل التجار الذين قدموا من مصر ، ثم دخلوا عليه الدار التى كان بها ، فلما رأوه قالوا هذه الصفة صفتك وأنت المطلوب لا شك ، ولكنا نخليك عن العقلة ، فارحل عن بلدنا ولا تقم فيه . وكان أبو القاسم ابن حسان بها ، فرحل معه حتى وصل إلى قسطيلية ودخل إلى سجلماسة فأقام بها ثلثة أشهر حتى لحقته الحرم مع يوسف القهرمان وطيب الخاضن ، ومع ذلك كتب أبى عبد الله تترى يطلبه حيث ما نزل ، فكتب إليه أن أقدم فقد استقامت لك العساكر . فتأخر حتى قدم إليه أبو عبد الله سجلماسة ، وخرج

المهدى ع م وولده أبو القاسم محمد الامام ع م وجعفر الحاجب وجميع من كان معه ، وكان من أمره ما هو مدون معروف . والحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد وآله الطاهرين

سيرة الحاجب جعفر بن على وخروج المهدى

صلوات الله عليه وآله الطاهرين

من سلمية ووصوله إلى سجلماسة وخروجه منها إلى رقاده

رواية محمد بن محمد اليمانى رحمة الله عليه

بسم الله الرحمن الرحيم

وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ، أسأل الله التوفيق لما يرضيه ويرضى وليه ومولانا وسيدنا الامام العزيز بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين الأئمة الأوصياء وعلى أبنائه البررة الأصفياء وأن يجمع أمة جده صلى الله عليه وعلى آله على طاعته ويجمل الدين والدنيا بدوام دولته ويمد فى بقائه ويدفع المحذور عن حوبائه بمنه وجوده إنه ولى ذلك خير مرغوب إليه فيه إن شاء الله ، وهو يرغب فيما تقدم به إلى مملوكه من نشو أيام آبائه الأئمة الطاهرين قدس الله أرواحهم وصلى عليهم أجمعين ويسأله صلى الله عليه أن يتلافى تقصيره برحمته ويتغمد زلاته بمغفرته ويوسعه من جملة ما هو أهله وخليق به إذ كان هو صلى الله عليه وعلى آبائه وأبنائه أعلم بما أمر به عبده ومملوكه وأحفظ به واهدى إليه منه

قال محمد بن محمد اليمانى مملوك مولانا عليه السلام : سمعت عبد موالينا قدس الله أرواحهم وصلى عليهم أجمعين جعفر بن على الحاجب يقول كان المهدى بالله ع م أكبر

سناً منى بشهور يسيرة وكنت قد رضعت معه عليه السلام وسمنى الامام ع م بخدمته ، فربيت معه ع م أخدمه فأدبنى أحسن أدب ، وكان الامام ع م لا ينكر عليه ما يرى منه تقويمى وتأديبى حتى أخرجنى كما يجب ، وكنت لا أحوجه أن يأمرنى بشىء وكان إذا نظر إلى عرفت الذى فى نفسه فأتيت بما يجب كما يجب

قال وكان يعاشر قوماً من أهل سلمية هاشميين من ولد عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم وكان يظهر لهم أنه عباسى . قال وكانت الأموال والذخائر تحمل من كل بلد من قبل الدعاة إليه إلى سلمية ، قال وكان الامام قد حفر سرداباً فى الأرض من الصحراء إلى جوف داره بسلمية طوله اثنا عشر ميلا ، وكانت الأموال والذخائر تحمل على الجمال فيفتح لها باب السرداب فى الليل ، وتنزل فيه بأحمالها عليها حتى تحط فى داخل الدار ، وتخرج فى الليل ويغمى على باب السرداب بالتراب فلا يدرى به أحد . قال وكانت الأموال عظيمة حتى يقال انه ما كسب المهدى قدس الله روحه بعد أن فتح الله له إلا نحواً مما خلف بسلمية

قال وكان كل عامل يلى بسلمية يلاطفه المهدى ع م ويهدى إليه ويبالغ فى الاحسان إليه ، فيصير كل من يلى البلد شبيهاً بالعبد له لجزيل ما يوليه ، قال وكانت له عليه السلام مائدة يحضرها أولئك الهاشميون وغيرهم ، فاذا رفعت من بين يديه وضعت بين يدى أم على القهرمانة زوج أبى يعقوب القهرمان النصرانى جد أبى أيوب صاحب المطبخ ، وهما جميعاً مملوكان للمهدى بالله ع م ، وتوفيت هذه القهرمانة بالمهدية بعد أن أسلمت وهى على حالها فى خدمة المهدى ع م . قال جعفر وكانت تعزل من المائدة كل ما أثر فيه من الخبز وتدفعه إلى قوم موكلين بتسمين الحيوان لمائدة المهدى بالله ، وتفرق باقى الخبز والطعام على الغلمان وتتصدق بما فضل عنهم

قال جعفر ثم زوج الامام ع م قبل وفاته المهدى ع م بابنة عمه أم القائم ع م ، قال جعفر فأذكر أن المهدى ع م تقدم إلى بأن لا أبرح فى ليلة زفافها عليه من باب المجلس ، قال فلزمت النساء حولى إلى أن فتح المهدى ع م الباب ورمى إلى بالسبنية ،

قال فنشرتها على رأسى ورقصت بها والنساء حولى يلعبن ويكبرن ، قال وكثيراً ما كان يذكر ذلك معى المهدى بالله والقائم بأمر الله والمنصور بالله والمعز لدين الله صلى الله عليهم

قال وما زالت الأحوال مستقيمة ورسل الدعاة عندنا فى كل وقت يأتون من كل بلد بالأموال والهدايا والأعمال من أعمال المؤمنين وأخماسهم وبما يتقربون به . قال وكان الامام عليه السلام قد نص على المهدى ع م وقلده العهد قبل أن يزوجه بابنة عمه ، وكتب بالنص عليه وأخذ العهد له إلى سائر الدعاة فى سائر الجزائر . قال جعفر وتوفى الامام ع م بعد ذلك بمدة يسيرة

قال وولى سلمية غلام تركى من بغداد فأحسن إليه المهدى ع م حسب ما كان يحسن إلى كل من يلى البلد ، وتابع الاحسان إليه حتى استراب به التركى لجزيل ما كان يوليه ويسدى إليه ، وكان خبيثاً فسأل قوماً من أهل البلد عن سبب إفراطه فى الاحسان وهو لا يسأله فى حاجة ولا يرغب إليه فى شىء ، فقال له بعض من كان يحسد المهدى ع م هذا فعله فى كل من يلى هذا البلد حتى يردهم له خولاً وعبيداً لأنه يرى له بأس عظيم ويقال انه يملك المشرق والمغرب وله فى كل بلد داع وأمواله أكثر من أموال الخليفة

فلما سمع التركى هذه المقالة أدركه الطمع وأخذ فى سؤال الحوائج عن المهدى ع م بما يمكن وما لا يمكن مما يجاوز مقداره ، فاذا قضيت له سأل فى غيرها حتى إنه لربما يسأل فى اليوم الواحد العشر الحاجات وأكثر فعل مغتنم . فلما علم المهدى بالله ع م مراده كتب إلى الدعاة ببغداد بالبذل على عزله عن البلد ، ففعل الدعاة ما أمروا به وعزل التركى لعنه الله عن البلد فانحدر إلى بغداد وقد علم من أين أتى ، فوقع إلى الخليفة ببغداد ذلك الوقت بما قيل له فى المهدى ع م وسأل فى أن يرد فى القبض عليه

قال جعفر وكان قد خرج فى ذلك الوقت رجل خارجى يزعم أنه قرمطى ، فلم يشك الخليفة أنه لنا يدعو ومن قبلنا خرج لأنه سار يريد سلمية . فبادر الخليفة بالتركى

وقال له إن سبقك القرمطى إلى سلمية قطعت رأسك ، فاجهد أن تسبقه وتقبض على الرجل وتحدر به إلى بغداد فى الجر ، فانه إن سبقك القرمطى شد ظهره واستفحل أمره . فكتب الدعاة إلى المهدى بالله، صلوات الله عليه من بغداد على أجنحة الطيور ومع الفيوج بما جرى ، وسبقت كتب الدعاة إلى سلمية قبل التركى . قال جعفر ولم يكن والله بيننا وبين القرمطى عقد ولا لنا فى عنقه عهد ولا نعرفه ولا يعرفنا . قال وقرب القرمطى والتركى جميعاً من البلد

فتقدم المهدى ع م إلى فيروز — هـذا داعى الدعاة وأجل الناس عند الامام وأعظمهم منزلة والدعاة كلهم أولاده ومن تحت يده وهو باب الأبواب إلى الأئمة — وتقدم المهدى إليه وإلى طيب — كان اسم طيب يومئذ بركان وكان المهدى ع م اشتراه لتربية القائم ع م — وإلى محمد بن أحمد بن زكريا أخى عبد الله الشيعى الداعى ببلد كتامة ، وإلى أبى يعقوب القهرمان ، وإلى محمد بن عزيزة ، ومحمد هذا هو ابن خالة جعفر الحاجب وكان أيضاً خادماً للأئمة صلوات الله عليهم ، وأمرنا بالأخذ فى أهبة السفر والخروج معه ، وأظهر لنا أنه يريد إلى اليمن . ووكل بالحرم وهن أم المهدى وابنتاه وابنتا أخيه وأم حبيب زوجة القائم ع م وأم على القهرمانة زوج أبى يعقوب أبا أحمد صعاوكا ثم سماه المهدى جعفراً وكناه بأبى أحمد . وهو أيضاً ابن خالة جعفر الحاجب وكان يسميه أخى ولذلك يدعو كل واحد منهما صاحبه بالاخوة ، وكان له المحل الجليل من المهدى والقائم عليهما السلام ، ومات فى أيام المهدى ع م بعد أن أخرجه المهدى إلى بلد الروم ففتح مدينة عظيمة فى بلد الروم تعرف بوارى وغنم غنائم عظيمة منها — وكان موسى طبيب المنصور بالله والمعز لدين الله والعزيز بالله صلوات الله عليهم من جلة وادى هذه المدينة — وأبلى مع القائم ع م فى المشرق والمغرب بلاء حسناً وكان فيه شجاعة وشطارة . وسمعت جعفر بن على الحاجب يقول : قتل أخى أبو أحمد الحاجب المعروف قبل ذلك بصعاوك ثلاثة رجال ونحن بسلمية فى ثلث سنين ، فودى المهدى دياتهم ثلاثة آلاف دينار . فوكله المهدى ع م بالحرم هو وأبا جعفر الجزرى ، وكان للجزرى

أيضاً محل جليل عند المهدى ع م لأنه كان من كبار الدعاة ، توفى برقادة فى مدينة كانت دار مملكة بنى الأغلب بعد أن فتح الله لمولانا المهدى ع م

قال جعفر الحاجب فسرنا مع المهدى ع م لا نشك أن إلى اليمن سيرنا ، وخرج أخو جعفر صعاوك وأبو جعفر الجزرى بالحرم قبل دخول القرمطى البلد فى الوقت الذى حده له المهدى . قال وسرنا نحن نحث حثاً عظيماً مع المهدى ع م حتى وصلنا إلى دمشق ، ودخل القرمطى بعدنا سلمية قبل وصول التركى إليها فنهبها وقتل أكثر أهلها ونهب دورنا وقتل كل من وقعت عينه عليه من قرابة موالينا وقرابتنا ، ولم يدع قبيحاً إلا عمله مع أهل سلمية ، واشتغل به صاحب بغداد ولم يغفل عن طلبنا . قال ثم خرجنا من دمشق ، فأذكر أنى ذلك اليوم مع المهدى ع م وقد خلف طيباً وأبا يعقوب القهرمان يحملان الرحل مع الغلمان على الدواب ، والقائم ع م معهم وهو يومئذ صبى إذ رأى رجلاً معه جروة سلوقية بيضاء فقال لطيب لا بد أن تشترى هذه الجروة ، فامتنع عليه من شراءها خوفاً من المهدى ع م ، وحلف القائم ع م أن لا يبرح إلا بها ، وطال انتظار المهدى ع م فقال لى ارجع واعرف ما أبطأهم . قال جعفر فرجعت فوجدت القائم ع م يبكى فقلت ما لك يا مولاى تبكى ، قال تقدمت إلى طيب يشترى هـذه الجروة فامتنع على من شراءها ، وقال لى طيب ما منعنى من شرائها إلا الخوف من المهدى ع م يقول من أمرك أن تفعل شيئاً من غير أمرى ، فقلت له أنا أشتريها لك يا مولاى ولا تبك ودموع مولانا تعمل بى ما لا أحب ، قال فجهدنا بصاحبها فى أن يقاربنا فى ثمنها ، فخلف لما رأى من شهوة الأمير فيها ما رأى بأن لا ينقصها من خمسة دنانير شيئاً ، وطال كلامنا معه . فرد إلينا المهدى ع م فيروز فعرفناه فرجع إلى مولانا ع م فعرفه فقال ارجع إليهم وقل لهم يعطون الرجل ما طلب وخذوها ، فاليوم يرد الرسول إلى دمشق فى طلبنا . قال فاشتريناها وسرنا ذلك اليوم واليوم الثانى ، وفى اليوم الثالث وصلنا إلى طبرية فوجدنا الداعى بها الذى كان لنا بها على ظهر الطريق قائماً ينتظرنا ، فلما رأى المهدى ع م قال له يا مولانا إن كتاب الداعى المقيم بدمشق وصل

إليه على جناح الطير يعرفه فيه أن الرسول ورد من بغداد على عامل دمشق فى طلبنا فى اليوم الذى خرجنا فيه ، ويسألنا أن لا ننزل بطبرية لكيلا يدركنا

قال فسرنا ولم ننزل بها حتى وصلنا إلى الرملة فنزلنا بها عند عاملها ، وكان مأخوذاً عليه ، فلم يدر من السرور برؤية مولانا المهدى ع م كيف يخدمه ، ورفع المهدى فوق رأسه وقبل يديه ورجليه . قال فأذكر قيامى على رأس المهدى أنا وطيب وأبو يعقوب على المائدة والعامل مع المهدى ع م والقائم ع م وفيروز يتغدون إذ ورد النجاب الذى ورد إلى دمشق من بغداد بكتاب القبض علينا وبصفة المهدى واسمه . قال فقرأه العامل ودفعه إلى المهدى ع م فلما وقف على ما فيه انكب العامل على رجلى المهدى ع م يقبلهما ويبكى ، فقال له المهدى ع م طب نفساً وقر عيناً ، فوالذى نفسى بيده لا وصلوا إلى أبداً ولنملكن أنا وولدى نواصى ولد العباس ولتدوسن خيولى بطونهم ، فلا تخش على شيئاً مما ترى . فكتب عامل الرملة إلى عامل دمشق جواب كتابه بأنه ما رأى هذا الرجل ولا هذه الصفة ولا علم بجوازه إن كان قد جاز ، وإن لم يكن جاز فنحن نترصده على كل طريق إن شاء الله . قال جعفر فجدد المهدى ع م البيعة على عامل الرملة وأقمنا عنده يومنا ذلك وليلتنا . قال فسقطت فى تلك الليلة نجوم فخرج المهدى والقائم صلوات الله عليهما والعامل والجماعة إلى سطح دار العامل ينظرون إليها ، وقد انقلبت المدينة بصراخ الناس والابتهال الى الله عز وجل ، قال وأحسبه كان سقوطها تلك الليلة فى سنة تسع وثمانين ومائتين ، وأظنه قال فى شهر رجب . قال فرأيت المهدى ع م قد شد يده على يد العامل وقال هذه النجوم إحدى دلائلى ومن بعض علاماتى

قال ثم دعا المهدى ع م محمد بن عزيزة المتقدم ذكره وقال نحن نسير بالغداة على بركة الله وعونه ، فارجع أنت إلى سلمية واجمع لك من قدرت عليه من الغوغاء والعوام وخذ بيدك فأساً وآفرق عليهم ما استطعت من الفؤوس وسبنا بكل ما تقدر عليه ، وانسب إلينا كل قبيح واحمل العامة على هدم دورنا ، فاذا صح لك ذلك فاعمل على أن تقلب العلو على البركة التى تحته حتى لا يتبين لها أثر ولا يعرف لها خبر ، فاذا

فرغت من ذلك فاخرج بهم إلى النخلة التى على باب المدينة ، فاقطعها وأظهر لهم أن تحتها كانت تعقد العقود ليتم لك قطعها ، فاذا فرغت من ذلك كله فأقم حتى يرد عليك أمرى بالقدوم على فى الوقت الذى يصلح فيه قدومك إن شاء الله

قال جعفر والسبب فى ذلك أن الامام ع م كان قد حفر بركة ورصها وأتقنها وملأها أموالاً ثم رص فوقها وبنى عليها بركة أخرى على قدرها وأجرى إليها الماء فكان لا يبرح الماء منها شتاء ولا صيفاً ، وكان أكثر جلوسه عليها . قال وسبب قطع النخلة أن أموالاً أتت الامام ع م فى الليلة حسب ما كان يرد عليه ، فغلط من قدم بها بباب السرداب فلم يذكره حتى قرب من باب المدينة ، فلما خشى أن يفضحه الصبح دفن الأموال التى قدم بها تحت النخلة التى بقرب باب المدينة ، أو من سور المدينة ، الشك منى

قال وسرنا من الرملة الى مصر فاستقبلنا أبو على الداعى وكان مقيماً يدعو بها وأكثر دعاة الامام من قبله ، وكان فيروز الذى دعاه ورباه وزوجه ابنته أم أبى الحسين ولده ، فتقدم اليه المهدى ع م قبل دخولنا مصر بأن لا ينزله عنده ولا عند من يشار اليه بشىء من أمرنا وأن ينزله عند من يثق به ، فأنزله عند ابن عياش . قال فما أقمنا إلا يسيراً حتى ورد الرسول الى مصر فى طلبنا ، قال فوجه صاحب مصر فى ذلك الوقت الى ابن عياش فأعلمه بالرسول واقرأ عليه الكتاب ، فقال له ابن عياش أما الرجل النازل على فوالله لا وصل اليه شىء إلا ما يصل إلى لأنه رجل هاشمى شريف تاجر من وجوه التجار معروف بالفضل والعلم واليسار ، والذى أتى الرسول فى طلبه قد أعطيت خبره أنه توجه الى اليمن قبل ورود هذا الرسول بمدة طويلة . قال جعفر فقال العامل لابن عياش نحن نقضى حقك فى هذا الرجل وحقه ولكن لا بد لنا أن نبدى عذراً بالقبض على بعض غلمانه ونقرره خوفاً من أصحاب الأخبار ، والأمر يجرى له ولك على ما تحب ويحب إن شاء الله . قال جعفر وكنت ذلك الرجل المقبوض عليه وقدمت الى التقرير وعلقت وضربت أسواطاً يسيرة ضرباً خفيفاً لم يكن على منه بأس

وكان المهدى بالله ع م قد تقدم إلى قبل القبض وقال لا توجعك نفسك إذا دفعتك الى العامل دون أصحابك ، فانى أريد أن أردك الى سلمية لتستخرج القمقمين اللذين أمرتك بدفنهما ، فليس معى من الغلمان من يعلم بهما سواك ، وإذا وقفت للتقرير فقل أنا رجل حر خدمت هذا الرجل بأجرة معلومة فعلى ما تقرروني ، ولم أخدمه إلا من قريب ، وأنا أرد عليه باقى أجرته وأرجع عنه الى بلدى . قال ففعلت ما أمرنى به وخلى العامل سبيلى فدخلت على المهدى ع م بالليل ، فقال لى بكر فى الغداة ولا تلو على شىء حتى تصل الى سلمية وتستخرج المال وتشترى منه أحمال قطن وتجعله فى بعضها وتسرع جهدك ، واحذر أن تظهر لأحد بسلمية إلا لمحمد بن عزيزة وابنه منصور المعروف بأبى الليث وحسن ابن أختك ، وأنا أنتظرك باطرابلس المغرب ولا أبرح منها حتى أراك إن شاء الله

قال جعفر ولم نكن نشك أنا نريد الى اليمن ، فلم يظهر سيره الى المغرب إلا تلك الليلة ، قال جعفر فاشتد ذلك على كل من كان معه وشق علينا ذكر المغرب ، قال وكان أشدنا تغيراً لذكر المغرب فيروز ، قال فبكرت كما أمرنى الى سلمية . قال وكانت أول محنتى التى امتحنت بها بمصر وإن كانت لا تجرى فيما جرى على بسجلماسة

قال ولما صح عند فيروز خروج المهدى ع م الى المغرب تغيرت نيته وعزم على النفاق ، وكان قد زوج ابنته كما ذكرنا أولاً بأبى على الداعى بمصر ، ومحمد أبو الحسين ابن أبى على الداعى ولده ، وقد بلغ محمد أبو الحسين هذا مع الأئمة المهدى بالله والقائم بأمر الله والمنصور بالله والمعز لدين الله صلوات الله عليهم المحل الجليل العظيم ، وكان داعى الدعاة . وكان قد سأل أبو على الداعى بمصر المهدى ع م المسير معه الى المغرب ورغب فى أن لا يفارقه فلم يجبه الى سؤاله وأمره بالمقام بمصر الى الوقت الذى يصلح قدومه فيه ، فشق ذلك عليه واغتم غماً شديداً

وخرج المهدى ع م من مصر وخالفه فيروز قبل خروجه من مصر ومضى الى اليمن . قال جعفر فكان المهدى ع م يقول بعد هروب فيروز إنى لأعجب من رجلين مؤمنين أحدهما تغمه فرقتنا والآخر تغمه صحبتنا . قال ووصل فيروز الى داعى اليمن وهو رجل من الكوفة وكان السبب فى اتصاله بالامام فيروز ، وهو أبو القاسم الحسن بن فرح المعروف بمنصور اليمن من بيت تشيع ، فلما وصل فيروز إليه لقيه بالتبجيل والتعظيم لما كان يعلم من محله عند الامام عليه السلام ، وخرج له من مسكنه وأنزله فكان يقف على رأسه حتى يأذن له بالجلوس ، فأظهر له أن الامام إنما بعث به مشرفاً عليه إلى أن يقدم من المغرب بالعساكر الى مصر ويكتب إليه ليستقبله بعساكر أهل اليمن ، فقدر أبو القاسم أنه صدقه . وعلم فيروز ما عمل وأن المهدى ع م لا بد أن يكتب الى الداعى يعرفه نفاق فيروز ويأمره بما يشاء ، فاصطفى لنفسه وصيفاً من غلمان أبى القاسم فأحسن إليه فوق ما كان يحسن إليه مولاه حتى صار آثر عنده من مولاه ، وقال له لا تكتم عنى ما يحدث على مولاك فى كل وقت ، ولا ما يتحدث به ويدبره فى الليل والنهار . قال وكان ذلك الوصيف لا يكتم عنه شيئاً إلى أن ورد كتاب المهدى ع م مقروناً بكتاب الداعى أبى على بمصر صهر فيروز زوج ابنته يعرفان أبا القاسم كيف جرت قصة فيروز ويأمره المهدى بقتله . فلما ورد الكتاب عرف ذلك الوصيف فيروز بورود ما ورد من ذلك . فهرب لوقته وطلبه الداعى أبو القاسم فلم يدر أى الجهات سلك ، ولم يزل يبحث عنه الى أن بلغه أنه وصل الى على بن الفضل الجيشانى وأنه أفتنه وأفسده . فلما علم أبو القاسم الداعى بموضعه وأنه فتن على بن الفضل وأهل بلده وشعوذ لهم ودعاه وأهل بلده الى نفسه خرج إليهما أبو القاسم وحاربهما مدة طويلة الى أن ظفر بهما وقتلهما

قال جعفر ثم جرى على الامام ع م فى طريقه مع القافلة عند خروجه من مصر وعند وصوله الى الطاحونة من البربر من أخذ بعض رحله بعد أن نهبت القافلة وكتب كانت للمهدى ع م فيها علوم كثيرة ، فكان أسفه عليها أشد من أسفه على غيرها مما ضاع له ، إلى أن جمعها الله عز وجل وقت خروج القائم الى مصر فى السفرة

الأولى . قال جعفر فلما وصل المهدى ع م الى طرابلس فرق كل من كان معه ما خلا طيب والقهرمان ، وأنفذ محمد بن أحمد أخا أبى عبد الله الداعى ببلد كتامة الى القيروان مع من كان معنا من الكتاميين الذين كانوا ينفذون إلينا الى سلمية ليصل معهم الى أخيه ببلدة كتامة ويعرفه قرب المهدى ع م منه ، فوصل أبو العباس محمد بن أحمد هذا الى القيروان

قال جعفر وكان قصد المهدى ع م الى ابى عبد الله ببلد كتامة . قال فلما وصل أبو العباس الى القيروان بلغه أن الكتب وصلت الى زيادة الله صاحب المغرب بطلب المهدى ع م وصفته وأنه أفلت منهم بمصر وأنه أمر بالسؤال عن المهدى ، فأخبره بعض من كان فى القافلة أنه تخلف باطرابلس وأن أبا العباس محمد بن احمد من أصحابه ، فرام التستر فلم يمكنه ولم يجد أحداً يعرفه فيثق به ويطمئن اليه ، فقبض عليه زيادة الله وقرره فأنكر وقال إنما أنا رجل تاجر ، فحبس واتصل حبسه بالمهدى ع م

قال جعفر واتفقت للمهدى ع م قافلة بعد وصولى اليه بالمال الذى وجهنى فى طلبه يريد سجلماسة على طريق قسطيلية ، فحمد الله على سلامتى وعلى ما اتفق له منها ، ورحل عنها وأخذنا على نفوسه الى ساطة من قسطيلية ، فنزلنا بمدينة يقال لها توزر وأقمنا بها أياماً الى أن عيدنا بها وخرجنا منها فى يوم العيد الى سجلماسة . قال فأذكر أن المهدى ع م قال لى يوماً ونحن مقيمون بها أخرج فاطلب لى خروفاً صغيراً سميناً فان وجدته فاشتره واشوه وجئ به . قال فخرجت أطلبه فقال لى رجل من أهل البلد عندى حاجتك فسر معى الى منزلى ، فسرت معه فأدخلنى الى بيت فيه كلب كثير الشعر فى عنقه سلسلة عظيمة وقد احمرت عيناه ، فقال لى اليوم شهرين أطعمه التمر وهو فى سلسلته لا يتحرك وقد ضاق به جلده من الشحم ، قال فاذا القوم يأكلون الكلاب ويسمونها بأسماء الخرفان . قال ووثب إلى الكلب من السلسلة وهو كالأسد وثبة فلم أشك أنه قطعها وخرق بطن جوفى فوليت هارباً منه وأنا لا أصدق بالنجاة منه الى خارج الدار وصاحب الدار يدعونى من خلفى وأنا لا ألوى عليه ، ولا أطمع فى النجاة الى أن دخلت على المهدى ع م وقد طار عقلى ويدى على فؤادى . فلما رآنى مذعوراً قد امتقع لونى قال وما وراءك ، قلت له يامولاى على هذا البلد وأهله لعنة الله ، قال كيف ويحك ، قلت خرجت أطلب ما أمرتنى به فجرى على كيت وكيت ، وحدثته القصة . فما زال هو ومولاى القائم يضحكان منى ويهدئانى حتى هدئت . فلما كان بعد ذلك بيوم أو يومين تقدم إلى أن أطلب له مزيناً ، وقال لى أجهد فى أن يكون غريباً . قال فخرجت فلقيت مزيناً عليه أثر السفر ، فقلت له أغريب أنت ، قال نعم قلت متى دخلت هذا البلد ، قال فى يومى هذا . فأخذته معى وجئت به اليه وعرفته أنه غريب ، فلما رآه سأله عن إسمه وعن بلده وهل هو حر أو مملوك ، وكذلك كانت عادته عليه السلام إذا رأى شخصاً لا يعرفه لم يكلمه ولم يؤانسه حتى يسأله عن إسمه ونسبه وبلده ، فلما سأله عن جميع ذلك عرفه الرجل أنه من أهل إفريقية من القيروان وأنه غاب عنها مدة طويلة الى بلد كتامة ومنه وافى الى هذه المدينة . قال له كيف استطعت دخول بلد كتامة والمقام فيه على ما قيل فيه من الفتن وتغير السنن . قال له والله يا مولاى ما لله ولرسوله سنة صحيحة إلا ببلد كتامة ، قال له المهدى ع م هذا خلاف ما وردت به الأخبار من كل الجهات عن الرجل الخارجى بها ، فقد قيل أنه لقد فتنهم وأحل لهم البنات والأخوات ورفع عنهم الصوم والصلوة . قال له المزين والله الذى لا إله إلا هو ما من هذا يا مولاى قليل ولا كثير ، ولا لله دين إلا الذى عليه الرجل الذى ببلدة كتامة . فقال له المهدى ع م ما الذى استحسنت من أفعاله حيث أراك تمدحه هذا المدح الذى لا يجامعك عليه أحد ، فقال له والله يا مولاى لقد شاركت شريكا وقلت له أعزم بنا ندخل مدينة سطيق ونعمل بها مدة نقهر فيها ما قسم الله عز وجل لنا من رزق قسمناه بيننا ، فسرنا إليها فلما أردنا الدخول من باب المدينة منعنا من الدخول بسلاحنا إليها ، قلنا لهم فكيف نعمل به وليس نعرف هاهنا أحداً نودعه إياه ، فقالوا لنا اطرحوه خلف سور المدينة ، فقلنا وكيف نضيع سلاحنا ، فقيل لنا اطرحوه ولا تخافوا عليه ، قال فطرحناه ودخلنا المدينة واحتبسنا

لأن الرجوع شق علينا بعد أن وصلنا إلى المدينة ، فأقمنا فيها شهراً ، ثم خرجنا فاذا سلاحنا بحاله ما ضاع لنا منه شيء ، فهذه يا مولاى سيرة رجل يرمى بالكفر وتبديل الشريعة . قال جعفر فرأيت وجه المهدى ع م يتهلل ، قال ثم قضى شغله وأمر له بدراهم كثيرة وانصرف

قال وخرجت بعد ذلك اليوم أشترى باذنجاناً فلم أجد منه ما يصلح إلا عند رجل ما رأيت قط فى الناس أشد شراً منه ، فأكدنى ساعتين ، فلما أخذت منه ما احتجت اليه وزنت له الفضة ، فكلما وزنت له شيئاً رد على منه وقال هذا زيف وهذا ردى حتى دكنى وأنا غافل لم أفطن به إلا بعد حين ، فلما علم أنى دريت به وثب على وصاح بالعامة وقال هذا رافضى وخدش وجهى وضم على أطواق ولطم خد وجهى فلم أتخلص منه إلا بعد جهد . قال جعفر فلما وصلت بعد ذلك مع المهدى ع م الى إفريقية وفتح الله له ع م رفع اليه أن رجلاً من قسطيلية جمع اليه أهلها وتملك عند هروب زيادة الله ، فأنفذ عاملاً الى البلد فقبض عليه وأنفذه الى المهدى ع م بمدينة رقادة . قال فلما وصل قال لى المهدى ع م أخرج واسأله ما حمله على ما فعل ، قال فخرجت اليه فاذا هو صاحبى الباذنجانى الذى وثب على وفعل بى ما فعل . فرجعت الى المهدى ع م وعرفته ، فضحك وقال الحمد لله الذى أمكنك منه ، فاخرج واضرب عنقه الى لعنة الله ، قال فخرجت به الى باب القيروان فضربت عنقه وصلبته

رجع الحديث ، قال فأقمنا بمدينة توزر الى أن عيدنا وخرجنا منها فى يوم العيد بعد أن صلينا العيد ، وسألنا المهدى ع م أن يقيم حتى ينقضى العيد ونرحل فى ثانيه فلم يجب سؤالنا . وساعده الدليل وأهل القافلة بعد أن أثنى عليه الدليل وذكر إحسانه اليه ورحل به وبالقافلة إيجاباً لحقه على ما كان يوليه . وسرنا نريد سجلماسة على طريق الصحراء ، فتعبنا ذلك اليوم تعباً شديداً عظيماً ، ولم يدع المهدى ع م الدليل ينزل بنا ، وكلما ضجر أهل القافلة من النصب ولاموا الدليل قال لهم والله لو

كلفنى أبو محمد أيده الله أن لا أنزل إلا بسجلماسة لما خالفته ، فلم يزل على ذلك الى هوى من الليل . قال فلما نزلنا قال المهدى ع م اليوم نزل الرسول فى طلبنا بمدينة توزر ، قال جعفر وكان والله كما قال ، ثم سأل المهدى ع م الدليل فى تلك الليلة كم مقدار ما قطعناه ذلك اليوم ، فقال يامولاى بيننا وبين توزر أربع مراحل . فقال جعفر ولم تنزل ونرحل الى أن وصلنا سجلماسة ، وصاحبها فى ذلك الوقت اليسع بن مدرار وهو بربرى . قال جعفر فكان المهدى ع م قد لقى قبل دخولنا سجلماسة رجلاً وسيماً حسن الهيئة ومعه ولد له وهو يريد إليها بتجارة معه ، فسأله المهدى ع م وقد جمعهما الطريق عن إسمه ونسبه وبلده فعرفه أنه مطلبى وبلده القيروان ، فحادثه المهدى ع م وآنس به ولاطفه فوجده متشيعاً ففتش عقله فلما رضيه أخذ عليه

قال جعفر فلما وصلنا إلى سجلماسة استأجرنا بها داراً حسنة من رجل يعرف بأبى حبشة للمهدى ع م . قال محمد بن محمد اليمانى حدثنى طاهر الوزان لبيت المال وقد جرى شيء من ذكر وصول المهدى ع م إلى سجلماسة ، قال حدثنى علوش الرائض قال : بينا نحن فى الاصطبل بالمنصورية إذ خرج علينا المعز لدين الله صلى الله عليه وهو ضيق الصدر من شدة الحر ، فجلس فى مجلس رائع كثير الهواء فى الاصطبل يشرف فيه على الخيل ، فلما استقر به موضعه دخل عليه فى الاصطبل جعفر الحاجب ، فقال له عليه السلام ما جاء بك يا جعفر فى هذا الوقت ، فقال له بلغنى أن مولانا ع م خرج من عند الحرم إلى الاصطبل فعلمت أنه لم يخرج فى هـذا الوقت إلا لضيق صدره ، فجئت أتعرف منه ما السبب لضيق صدره عليه السلام فأشاركه فى الرأى وأؤانسه . فقال له صلوات الله عليه والله ما خرجت إلا من شدة الحر ، فرأيت أن أخرج إلى هذا الموضع الرائع وآنس بالنظر إلى الخيل . فقال له يا مولاى أتأذن لى أن أحدثك بحديث عجيب شاهدته بسجلماسة مع مولانا المهدى ع م أذكر فيه فجرك من الحر ، فقال له اى والله فحدثنى . فقال يا مولاى نزلنا بسجلماسة فى دار تعرف بدار أبى حبشة ، وكان إلى جانب الدار بستان ملصق بها وفى الدار باب يفتح إليه ، فلحق المهدى ع م

فى يوم صائف مثل هذا اليوم حر عظيم ، فتقدم إلينا بأن نفتح باب البستان ونفرش فى أروح موضع فيه ليجلس فيه من شدة الحر الذى كان فى ذلك اليوم ، ففتحنا البستان ودرنا فيه فوجدنا شجرة كبيرة تحتها رواح عظيم ، ففرشنا له تحتها نخرج وخرج القائم صلوات الله عليهما معه فجلس تحت الشجرة ، قال ومشى القائم ع م فى البستان يطوف مع بعض الغلمان حتى انتهى إلى عين قد استنقع فيها ماء يسير ، قال فنزل عليه القائم ع م وغسل منه يديه ووجهه وأنزل رجليه فيه ، فما هو إلا أن صارت رجلاه فى الماء حتى جرت العين جرياً عظيما وقوى جرى الماء فيها ، فلما عاين البستانى ذلك صاح بأعلى صوته إنى بالله وبالمهدى . فقال المهدى ع م انظروا من هذا وعجلوا على به ، فبادرنا إلى الرجل وجئنا به إلى المهدى ع م بعد أن نهيناه عن الصياح ، فقال له ما لك يا هذا تشيط بدمائنا ، ومن أين علمت أننى المهدى ، أتراك دسيساً علينا . فقال له يا مولاى فى هذا البستان عين لها مدة طويلة قد غار ماؤها ، وقد رويت عن آبائى وأجدادى أنها لا تخرج حتى يدخل المهدى هذا البستان وينزل رجليه فيها هو أو ولده ، وقد رأيت ما كنت أرويه عنهم اليوم عياناً . فقال له المهدى ع م فاذا علمت هذا وصح عندك بما عاينت اليوم أترى أن تشيط بدمائنا ، فقال له لا والله يا مولاى ولو قدرت أن أخبئكم فى أحشائى وأطبق عليكم أجفانى لفعلت ، ولكن يا مولاى أسألك فى حاجة ، قال له المهدى ع م وما هى ، قال هذا البستان كان لأبى وجدى يتوارثونه عن أجدادنا ، فلما كان هذا الوقت غصبنا عليه اليسع بن مدرار وأخذه منا فنحن نعمل فيه بأجرة ، وأنا أعلم أن الأمر إليك يصير فتفضل على برده . فوعده المهدى بخير وأحسن إليه وأمره بكتمان ما عاين فلزم الرجل الكتمان إلى أن فتح الله عز وجل للمهدى ع م بعد أن وصل أبو عبد الله لمحاربة ابن مدرار بالعساكر العظيمة وجرى ما ذكرناه فى آخر الكتاب من أمر المهدى ع م واجتماعه مع أبى عبد الله والمضارب التى ضربت له لنزوله عليه السلام ومن تسليم الكتاميين عليه بالترتيب الذى ذكرناه فى آخر الكتاب وهروب ابن مدرار وأخذه بعد هروبه . قال وإذا بالرجل البستانى على باب المضرب

يصيح بأعلى صوته إنى بالله وبالامام المهدى فلما سمعه المهدى ع م عرف كلامه فقال لى اخرج إليه وبالغ فى الاحسان إليه ورد عليه بستانه وخوله ما حوله من البساتين . قال فعجب المعز لدين الله ع م من هذا الحديث واستحسنه ولم يزل يردده سائر يومه

قال جعفر وكان المطلبى يكثر الوقوف عند المهدى ع م بسجلماسة ويأنس به ويأكل معه ولطف به وتحقق به . فلما فرغ المطلبى من تجارته استأذن المهدى ع م فى الرجوع إلى القيروان ، فقال له المهدى لولا نحن تلحقنى وتلحق طوائفى وعبيدى وجميع من معى ومن يعرفنى وأعرفه لما تركتك تمضى فى هذا الوقت ، ولكن اذهب فى حفظ الله ، وفى أى وقت رأيت الداعى ببلدة كتامة فتح إفريقية وملك القيروان ونزل مدينة رقادة فاخرج إليه وسلم عليه وعرفه بنفسك ، فسأكتب إليه وأعرفه بك وأتقدم إليه بما تقف عليه إن شاء الله ، فاذا رأيته قد عزم على الخروج إلى سجلماسة فاخرج معه وأنفذ إلى ابنك هذا معه . وكان حينئذ معه وهو شاب قد اخضر شاربه

قال جعفر وإنما أراد المهدى ع م بانفاذ المطلبى ليعرف عبد الله الشيعى بالمهدى ع م ، لأن الشيعى الداعى ببلدة كتامة لم يكن رأى المهدى . وإنما ابتداء أمره أنه كان رجلاً صوفياً جاراً لأبى على الداعى بالكوفة هو وأخوه أبو العباس محمد بن أحمد بن زكريا ، وأبو عبد الله حسين بن أحمد بن زكريا . وكان أبو العباس هذا أكبر سناً من أبى عبد الله وكانا شيعيين جميعاً ، فلما علم بخروج أبى على الداعى إلى مصر سألا صهره فيروز ورغبا إليه معاً بالجوار والتشيع ولم يكونا أبصرا الامام ولا وصلا إلى رؤيته ، فسأل لهما فيروز الامام بعد أن أخذ عليهما فيروز ورباهما وفقههما فى إنفاذ أبى عبد الله حسين بن أحمد إلى مصر ثم إلى أبى القاسم الداعى باليمن ليعينه فيما ندب اليه ، وإنفاذ أخيه أبى العباس إلى القائم بمصر مع أبى على الداعى بها ، فأجاب الامام ع م سؤاله فنفذ أبو عبد الله من مصر إلى اليمن وأقام أخوه أبو العباس بمصر مع أبى على . ولم يزل أبو عبد الله باليمن وقد أصاب أبا القاسم مستغنياً عنه ، وقد تم له كل ما كان

يؤمله إلى أن كتب الامام ع م إلى أبي القاسم بانفاذه إلى مصر . فلما وصل إلى مكة اجتمع مع الكتاميين فصحبوه إلى مصر ثم الى المغرب الى بلادهم على أمر الامام ع م ولا رأى المهدى ع م . ولم يزل أخوه أبو العباس يخدم أبا على بمصر وينفذ برسائله الى الامام على يدى فيروز ، الى أن سأل فيروز ورغب إليه بعد خدمة كثيرة فى مدة طويلة ، إلى أن سأل الامام فى الأخذ عليه ، فأجاب الامام ع م سؤاله وأخذ عليه من خلف ستارة ، ثم رفعت من بعد لأخذ عليه فرأى الامام والمهدى والقائم معهما وهو طفل صغير صلوات الله عليهم أجمعين

رجع الحديث إلى وداع المطلبى للمهدى ع م . قال جعفر فودع المطلبى المهدى ع م وانصرف الى القيروان . قال وتقدم إلى المهدى ع م فى تلك الأيام بشراء خادم من حلب دخل فى ذلك الوقت إلى سجلماسة ، فاشتريت غلاماً نظيف الوجه سماه المهدى صندلاً وهو الغلام الذى كان استشهد ببلاد كتامة مع القائم عند خروجه إلى الماوطى الخارج بها بعد وصول المهدى ع م إلى رقادة ، وكانت لهذا الغلام شجاعة رزقه الله بها الشهادة . قال وتقدم إلى أيضاً فى شراء غلام آخر رومى لمولانا القائم فاشتريت رومياً صائغاً من امرأة من أهل سجلماسة سماه مسلماً . قال فاذا هو عليه السلام يدرى ما يجرى علينا من الامتحان فاستعد لنفسه وللقائم ع م من يخدمهما

قال جعفر فلما قبض علينا ونقل القائم عن المهدى ع م إلى دار غير الدار التى كان ينزلها المهدى بعث معه المهدى ع م مسلماً يخدمه ويؤنسه ، وبقى مع المهدى ع م فى الدار التى نزلها أولاً صندل الخادم . قال جعفر وطرحنا نحن فى الحبس أنا وطيب وابو يعقوب القهرمان ، وكان المهدى ع م ينفذ صندلاً كل يوم يعرفه أخبار القائم ع م وأخبارنا وينفذ إلينا نفقاتنا مع صندل . قال جعفر والمهدى والقائم ع م مبجلان معظمان فى منزلها قد هيبهما الله عز وجل فى عين صاحب سجلماسة وعظمهما فى قلبه ، وإنما كانت صولته علينا يعذبنا كل يوم بالسوط ، فأما أبو يعقوب القهرمان فانه أقر بعد أيام

قال جعفر فأذكر أنى قلت له فى اليوم الذى أقر فيه بعد أن ردونا إلى السجن وقد لكمته : يا ابن الخناء لم أقررت ، فقال لى يا خليلى أوجعنى والله السوط . قال جعفر فلم يعذب أحد منهم عذابى لأنهم أقروا وما أقررت ، وأما طيب فلم يصرح لهم ولكن قال لهم لما طال علينا العذاب يا قوم إن كان قد صح عندكم ما قيل فينا فاقتلونا وأريحونا من هذا العذاب الذى نحن فيه . وأما أنا فما وجدوا فى حيلة ، وكان ذلك مما زادهم على غيظاً ، فضربونى بالسوط وضربوا فى أظفارى بالقضيب حنقاً على ليجبرونى على الاقرار فثبتنى الله بفضله . قال والله إنى لأعرف أنى عطشت يوماً فى السجن وأبطأ علينا السقاء الذى كان يسكب لنا الماء ، فدعوت السجان ورغبت إليه فى شربة نحو مائة مرة ، فكان جوابه بعد هذا كله أن رمانى بفهر كسر به أسنانى فشربت دم فمى ، ولشدة غيظهم علينا حبسونا فى خلاء السجن وكنا إذا نمنا نجعل خدودنا لضيق المكان الذى نحن فيه على مرقاة الخلاء إلى أن فرج الله عنا

قال جعفر وفتح أبو عبد الله إفريقية سنة ست وتسعين ومائتين ، فأقام بها أشهر نحو الثلثة إلى أن أقعد قواعد البلد وأمر الرعية ، ثم رحل عنها يريد سجلماسة فى طلب المهدى ع م ، واستخلف على إفريقية أبا زاكى تمام بن معارك الأسجانى ثم النائلى ومحمد بن أحمد بن زكريا المكنى بأبى العباس أخا أبى عبد الله . ووافى جعفر بن عبيد رقادة بالحرم قبل دخول مولانا المهدى ع م إلى رقادة أو بعد وصوله ، الشك من عبد مولانا عليه السلام لبعد عهده بالحديث من الوقت الذى سمعه

قال جعفر وتوجه أبو عبد الله حسين بن أحمد إلى سجلماسة بالجيوش العظيمة ومعه المعروف بأبى القاسم المطلبى ، وكان المهدى ع م قد كتب إلى أبى عبد الله يوصيه بالمطلبى ، ويأمره بحفظه وصيانته والمبالغة فى الاحسان إليه ورفع العشر والخراج وجميع المؤن عن ضياعه ، وأن يرفع منزلته ومنزلة ولده معه ويكرمهما ويخصهما بنفسه ويحمل ولده معه عند خروجه إلى سجلماسة ويوصى من يخلفه بافريقية فى أبيه بمثل ما أوصاه المهدى

ع م ، فحمل أبو عبد الله ولده أبا القاسم بن المطلبى معه إلى سجلماسة بعد أن امتثل كل ما كتب به إليه المهدى ع م فيهما

قال جعفر فلما وصل أبو عبد الله إلى سجلماسة وضع عليها الحرب بعد أن راسل اليسع بن مدرار أمير البلد فى إخراج المهدى ع م إليه وضمن له بالانصراف عن بلده على الموادعة ، فامتنع عليه وضيق عليه وسبق على المدينة بالحرب وأحاطت العساكر من كل الجهات سجلماسة بعد حرب عظيمة ، فلما رأى اليسع ما لا طاقة له به استشار من معه من أهله بالحيلة فى الخلاص ، فقال له بعض من استشاره اقتل هؤلاء المتهمين عندك فان كانوا أصحابهم فلت جمعهم وأبطلت عليهم مذهبهم ، وشتت كلمتهم ، وقال آخرون بل تحسن إليهم فانهم يكفونهم عنك إن كانوا أصحابهم ويكافونك عن إحسانك إليهم

قال جعفر وكان قد أتهم أيضاً بهذا الأمر رجل من التجار يعرف بابن بسطام ، وذلك أن قوماً من التجار حسدوه على نعمته مع شر كان فيه فأرادوا زوال نعمته وهلاكه ، فاجتمعوا إلى اليسع وقالوا له إن الرجل الذى يطلبه السلطان ليس هو مولى هؤلاء المعذبين عندك وإنما هو هذا الرجل يعنى ابن بسطام ، فأمره بلزوم منزله . قال جعفر وكان ذلك مما شككه فى المهدى ع م فتوقف عن عذابنا

رجع الحديث إلى مشورة ابن مدرار . قال جعفر وقال له بعض من كان يثق به ويرجع إلى رأيه : القوم قد أحاطوا بنا عن كل جانب وليس لنا بهم طاقة فان كنت قتلت هؤلاء القوم قتلوك بهم وقتلونا . والرأى لنا ولك أن تخرج هؤلاء الرجال إليهم واحداً واحداً ، فمن كان منهم صاحب القوم اشتغلوا عنك وعنا وقت خروجه إليهم ، فعند ذلك نجد نحن لاشتغالهم الفرصة للهرب . ومع هذا فانه إذا وصل إليهم صاحبهم لم يكن له ولا لهم اهتمام إلا القفول إلى إفريقية خوف أن يبلغ زيادة الله بن الأغلب الهارب من بين أيديهم أنهم انصرفوا عن إفريقية إلى سجلماسة ، فيرجع إليها طمعاً منه لبعد ما بين البلدين ويحشد بها العرب ويحصن منهم فيصعب الأمر عليهم ، فاذا انصرفوا عن البلد بصاحبهم رجعنا إليه

قال جعفر فاتفق القوم على إخراج ابن بسطام التاجر الذى وشى التجار به وأخرجوه إلى أبى عبد الله ، فلما رآه أبو عبد الله ترجل إليه وقدر أنه المهدى ع م ، فترجل ابن بسطام لترجل أبى عبد الله ، فلما رآه أبو عبد الله قد ترجل لترجله ركب فرسه ولم يلتفت إليه . ودعا بأبى القاسم بن المطلبى وقال له الزم على يمينى ولا تفارقنى فلهذا وجهك معى الامام ، ولو كنت معى ما نزلت لرجل من سائر الناس . قال جعفر وذلك أن أبا عبد الله لم يكن رأى المهدى ع م كما قد ذكرنا أولاً ولا عرفه ، وإنما تقدم من قبل أبى القاسم صاحب اليمن وأنفذ معه رجلا يمانياً يعرف بابن أبى اللاحف فلقى الكتاميين بمكة وخرج معهم إلى مصر وكانت لهم معه أخبار فى طريقه إلى المغرب يطول شرحها ، قد ذكرها القاضى النعمان بن محمد فى كتابه الذى ألفه فى ابتداء الدولة الطالبية ، فأقام ببلد كتامية إلى أن صح له ما يريده ، ولم يكن رأى المهدى ع م رؤيا عين ولهذا تقدم المهدى ع م بحمل ابن المطلبى معه ليريه المهدى ع م لأنه رآه مع أبيه حيث اجتمع معه بسجلماسة وأخذ عليه

رجع الحديث إلى حديث ابن بسطام وأبى عبد الله ، قال ووقف ابن بسطام تحت ركاب أبى عبد الله يحرضه على فتح المدينة ويعرفه سلامة المهدى وسلامة القائم صلوات الله عليهما . قال جعفر فلما زاد البلاء على أهل سجلماسة ورآهم صاحبها لم يلتفتوا إلى ابن بسطام بعث إلى المهدى ع م بفرس كميت وقال له اخرج عنا إلى هذا الرجل إن كان صاحبك ، قال جعفر فخرج المهدى ع م على الهيئة التى كان عليها جالساً فى منزله وعليه ثوب دبيقى وغلالة يثرب وعلى رأسه منديل عرضى سطوى قد جلله على رأسه وكتفيه وفى رجليه نعلان عربيان ، فلما فصل عن سجلماسة وانتهى إلى حيث تبين للتأمل قال ابن المطلبى لأبى عبد الله هذا مولاى ومولاك ومولى الناس جميعاً ، فنزل أبو عبد الله عن فرسه وابن المطلبى فنزل الجيش كله وقبل أبو عبد الله الأرض وقبل الناس معه وغدا وغدا الناس خلفه يقبل الأرض والناس يقبلون خلفه حتى انكب على حوافر فرس المهدى بالله صلوات الله عليه ، ثم رفع رأسه فقبل ركاب

المهدى عليه السلام وقد خنقته العبرة ، فأخذ المهدى ع م بيده رأس أبى عبد الله وأقبل بوجهه إليه وقال له ابشر بخير يا حسين ، فاندفع أبو عبد الله بالبكاء ولم يحر جواباً من شدة ما دخله من هيبة المهدى ع م والسرور به ، فقال له المهدى ع م وهو متبسم يحمد الله ويشكره ويثنى عليه قدم يا حسين فرسك ، قال وكان أبو عبد الله فى ذلك اليوم قد ركب فرساً أشهب ، فبادر أبو عبد الله يعدو حتى أخذ الفرس من يد الغلام وقدمه بيده إليه وألصقه بجنب الفرس الذى كان تحته وأدخلها فى ركاب فرس أبى عبد الله واستوى عليه راكباً وحول وجهه عليه السلام إلى المدينة . قال جعفر حدثنى أبو القاسم بن المطلبى لأنى كنت فى المطبق لم أعاين ذلك قال وفى وقت اشتغال الناس بالسلام على المهدى ع م وازدحامهم للنظر إليه والسلام عليه والسرور به انسل اليسع بن مدرار وأصحابه هاربين من المدينة على وجوههم إلى الصحراء يريدون إلى صنهاجة المشركين الذين فى داخل المغرب الذين هم أصل صنهاجة المسلمين الذين منهم زيرى وولده

قال جعفر وتقدم المهدى ع م الى أبى عبد الله بفتح المدينة وقال للناس شأنكم بها ، قال فما تم الكلام حتى ركب الناس المدينة من كل الجهات وفتحوها من وقتهم ذلك ، ونهبت وكسر المطبق علينا ونهبوه ونهبنا مع من نهب من المحبسين ، قال وتقدم المهدى ع م الى أبى عبد الله بطلب القائم ، وقال له أنفذ الى الحبس من يخلص منه غلمانى ويتقدم إليهم يدلون رسلك على موضعه

قال جعفر ولما كسر الحبس ونهبنا وجردنا خرجنا ندور فى أزقة المدينة وشوارعها ونحن عراة ، قال وإذا طيب قد أصاب برنساً أبيض خلقاً فتوزعناه ، وصعدت أنا وهو وأبو يعقوب القهرمان على سطح بيت ننظر الى مواكب كتامة يدورون فى المدينة ، قال وإذا بهم لما طلبونا فى السجن ولم يجدونا بقوا حيارى لا يدرون لنا موضعاً وليس يعرفونا فيأخذونا معهم لندلهم على موضع القائم ع م ، فقال لى طيب ويحك والله ما أظن هذه المواكب تمر وتجىء إلا فى طلب مولانا أبى القاسم وما أظنه

اجتمع بعد مع أبيه ، فتعال حتى نسألهم . فلما قرب منا قوم منهم قلنا لهم يا إخواننا نحن عبيد مولانا المهدى ع م المتحنون بالسجن والعذاب ، فان كان مولانا المهدى ع م لم يجتمع بعد بمولانا أبى القاسم وإنما بعثكم فى طلبه فنحن نعرف موضعه ، تخذونا معكم حتى ندلكم على موضعه . فلما سمعوا مقالتنا وثبوا إلينا فكسونا ثلثة أثواب وثلاث عمائم وحملونا على ثلثة أفراس ، فسرنا معهم حتى وقفنا على باب الدار التى فيها الامام أبو القاسم عليه السلام ، فدعونا مسلماً وصندلاً فلم يجبنا أحد منهم . قال وكان صندل لما خرج المهدى ع م الى أبى عبد الله أتانا الى السجن فعرفنا بخروج المهدى ع م ، فقلنا بادر الى مولانا أبى القاسم وعرفه وأقم عنده ، فمضى إليه وصار هو ومسلم مع القائم ع م ذلك اليوم فى الدار التى كان فيها القائم . قال فلما طال وقوفنا على باب الدار ونحن ندعو بمسلم وصندل ولا يجيبنا أحد خشينا من الكتاميين أن يقدروا أنا كذبنا فيقتلونا ، فدعوت ودعا معى طيب ، يامولانا يا أبا القاسم افتح لنا الباب واخرج إلينا ، فنحن عبيدك وهؤلاء كتامة أولياؤك ، قد فتح الله لمولانا المهدى وأنجز لكم الوعد الذى وعدكم ، ومولانا المهدى قائم على فرسه يطلبك منذ اليوم فاخرج إلينا

فلما سمع مقالتى ع م شك فى كلام طيب فقال لى يا جعفر أسمعك طيب ، قلت نعم يا مولانا افتح الباب . قال جعفر فما تركه الكتاميون لما سمعوا كلامه حتى يفتح الباب بل وثبوا على الحيطان وكسروا الباب وهجموا على القائم وحملوه على أعناقهم وقدموا اليه خير فرس كان معهم فركب ومضوا به ، وتركونا حيارى بعد أن كنا ثلثة صرنا خمسة أنا وطيب وأبو يعقوب ومسلم وصندل . فقلت ما الرأى ، فقال القوم نخرج الى العسكر : فقلت لهم إن خرجنا لم نأمن من أطراف العسكر أن يخرجوا علينا فيقدروا أنا من العدو وهم غتم لا يعرفوننا ولا يعرفون أنا عبيد المهدى ع م ، وإن عرفناهم خشينا أن يكذبونا ويقتلونا ، ولكن نرجع الى الدار التى كان فيها المهدى ع م ، فانه إذا رأى القائم لم يكن له شغل غيرنا ، وهو يعلم أنا لا نوجد إلا فيها بسبب ما ترك فيها

قال وقد نهب كتامة المدينة كلها ما خلا الدار التى كان فيها المهدى ع م والدار التى كان فيها القائم ع م ، فان الله أعماهم عن الدارين . قال صندل فاذا عزمتم فاحملوا معنا الرحل الذى فى دار مولانا أبى القاسم الى دار مولانا المهدى بالله ع م ليجمع الرحل كله فى موضع واحد ، قال فحملناه حتى أوصلناه الدار . قال وكان قد قال لنا صندل وقت دخل إلينا الى السجن إن مولانا المهدى ع م أمره قبل خروجه من الدار الى أبى عبد الله بأن يطرح فى المطامير التى كانت فى الدار كل شىء له من ثياب وفرش ومال وأثاث وهو قائم على رأسه ، قال فبمقدار ما طرحته وردمت عليه وافاه رسول اليسع بالخروج الى أبى عبد الله . قال وجلسنا فى دهليز دار المهدى ع م وقد آوى إلينا عالم من الناس من أهل سجلماسة من رجال ونساء وصبيان فى خلق وحصير مجرحين وغير مجرحين وهم يستجيرون بنا خوفاً على أرواحهم ، فما زلنا فى الدار الى أن ذهب ثلث الليل حتى سمعنا جلبة عظيمة ووقع حوافر الخيل ، وإذا بموكب كبير فيه نحو مائة فارس معهم المشاعل مقبلين الى الدار ومعهم قوم من أهل سجلماسة قد دلوهم علينا

قال وإذا مولانا المهدى ع م يطلبنا من وقت وصول القائم ع م اليه ، فلم يزل أبو عبد الله ينفذ فى طلبنا قوماً بعد قوم . وطلبنا فى الدار التى كنا فيها فى طلب القائم وقت خروجه الى المهدى ع م ، ولم يدر بنا أحد من أهل سجلماسة إذ هم يطلبوننا فيدلوهم علينا ، وهم يمرون ويرجعون الى أبى عبد الله فيقولون ما وجدنا أحداً ، حتى قال المهدى ع م مرهم يسألون أهل سجلماسة يدلونهم على الدار التى كت فيها نازلاً فانهم يجدونهم بهـا ، قال فرجعوا الى أهل سجلماسة يسألونهم عن الدار التى كان فيها المهدى ع م فدلوهم عليها

قال فلما رأينا القوم مقبلين الى الدار قمنا اليهم مستقبلين لهم ورأينا معهم خادماً صقلبياً ، فرأيناهم يجلونه ويأتمرون له ، وإذا هو غلام لأبى عبد الله أهداه ذلك اليوم الى المهدى ع م ، وهو بشرى المعروف بالايكجانى كان اشتراه ابو عبد الله فى إيكجان

موضع نزوله ببلد كتامة اول دخوله اليها . قال فنزلوا الينا عن دوابهم وعانقونا فى دهليز الدار ، ودخل معنا الخادم الى الدار وجلس الجماعة فى الدهليز ، فسألنا بشرى عن اسمائنا فتسمينا له وسألناه عن إسمه فعرفنا وقال قد صرت بحمد الله واحداً منكم لأن مولاى السيد — وكذا كان يقال لأبى عبد الله فى بلد كتامة — قد اهدانى لمولانا المهدى ع م

قال فأخرجنا من الدار كل ما كان فيها من المال والرحل والثياب والعدة وحملناها على الدواب ، وقدمت لنا خيل على عددنا فركبنا وسرنا حتى وصلنا الى العسكر ، فوجدنا ابا عبد الله قائماً على فرسه ينتظرنا

وقد تقدم المهدى ع م بعد ان نزل فى المضرب الذى ضربه له ابو عبد الله ، ولم يكن قبل ذلك نزل حتى راى القائم ع م ، قال جعفر فلما رآه نزل الى المضرب وتقدم الى ابى عبد الله بأن لا يبرح عن فرسه حتى نصل اليه بجميع ما معنا ، قال جعفر فلما رآنا ابو عبد الله نزل عن فرسه ونزلنا اليه فعانقنا واحداً واحداً وبشرى يقول له هذا فلان وهذا فلان بأسمائنا

قال فأما انا فأقمنى على برأس مولانا المهدى ع م بأن أمكنه بما يريد منى ففعلت ، قال فكشف عن ظهرى وقبل الجراح الذى فيه ، واخذ يدى جميعاً فقبل اظفارى وعينى جميعاً ، وقبل ظهر طيب وعينيه ، ولم يقبل من ابى يعقوب شيئاً ، ومشى معنا يريد الى المضرب الذى فيه المهدى والقائم صلوات الله عليهمـا ، قال وإذا بالقائم ع م على باب المضرب ينتظرنا وكأنه القمر ، فلما رآنا استبشر بنا وضحك الينا ودخل معنا الى المهدى ع م

قال جعفر فرأينا المهدى ع م جالساً على سريره فى وسط المضرب كأنه الشمس المنيرة حسناً ونضارة ، فقبلنا الأرض ونحن نبكى وهو صلى الله عليه يضحك ويسجد لله ويحمده ويشكره ويمجده تبارك إسمه . ثم قال لصندل هات الخلعتين اللتين عزلتهما فى التخت الفلانى ، قال فأتاه بهما فلبس واحدة وكسا القائم الأخرى ، ثم قال هات

الثياب والسيوف التى عزلت لهؤلاء . قال جعفر فدعانى صلوات الله عليه وخلع على بعد أن خلع على أبى عبد الله بيده وعممه وقلده سيفاً ، فخلع على ثوباً تحته ثوب دبيق وعمامة وسراويل وخفاً وقلدنى سيفاً ، وخلع طيباً مثلى وقلده سيفاً وكذلك على مسلم وعلى صندل وعلى أبى يعقوب وقلده سيفاً وقلد صندلاً سيفاً . قال جعفر فكان أعد ذلك كله لنا من أول ما خرجنا من سلمية ، قال ثم تقدم الى أبى عبد الله بأن يضرب له ولنا مضرباً واسعاً ففعل وفرش فيه للمهدى ع م فرشاً نفيساً

وتقدم اليه بأن يتقدم الى الناس بالغداة يسلمون عليه على مراتبهم ومقاديرهم ويعرفه لهم ، قال أبو عبد الله : القوم يا مولانا فيهم جفساء وهم متلهفون على النظر الى وجه مولانا المهدى ع م ، فيتقدم مولانا صلى الله عليه الى من يراه من عبيده هؤلاء يقف خارج السماء ، وأقف أنا فى صدور الناس وأقدم من يستحق التقدمة منهم عشرة عشرة أسلمهم اليه يقدمهم يسلمون على مولانا ع م وينصرفون ، فاذا فرغت من الدعاة منهم والقواد قدمت من هو دونهم خمسين خمسين ، ثم مائة مائة ، ثم خمس مائة خمس مائة ، ثم أجريت باقى العسكر من بين يدى مولانا مواكب حتى أعمهم بالنظر الى وجه مولانا ع م واستكمل سلامهم عليه

فقال المهدى هذا صاحبك وأشار الى . قال جعفر فلما أصبحنا جلس المهدى ع م على السرير الذى نصب له فى السماء فكأنما الشمس طالعة من وجهه ، ووقف القائم عليه السلام عن يمينه متقلداً سيفه ملتصقاً بالسرير كالبدر عند تمامه ، ووقف طيب عن يمين السرير دون القائم ع م بمقدار خطوتين ، وعن يسار السرير مسلم بينه وبين السرير مقدار خطوتين ، ودونه أبو يعقوب وبشرى وصندل عن يمين السرير ويساره بيديهما مذبتان وهما يذبان على رأس المهدى ع م ، قال وأنا على باب السماء قائم على سيفى ، وأبو عبد الله بينه وبين السماء مقدار مائتى ذراع ومعه ألف بواب وقد وقفوا صفين ، وهو يدعو بأسماء الدعاة والقواد يقدمهم عشرة عشرة ، إذا اجتمع اليه منهم عشرة قال لهم امشوا على رفق الى الحاجب القائم على باب السماء ، ولا تعدوا

ما يرسم لكم حتى تسلموا وتدعوا لمولانا ع م ، فاذا أشار إليكم بالانصراف فانصرفوا . قال جعفر فمن ذلك اليوم سميت حاجباً ، فكنت أقدمهم عشرة عشرة وكنت أول من خدم المهدى ع م لما أفضت الخلافة اليه ، قال فما زالوا يسلمون عليه ويدعون له فيبارك عليهم ويشكر لهم سعيهم ويعرفهم ما أعد الله لهم من جزيل الثواب فى الدنيا والآخرة

قال جعفر فما زلنا هذا يومنا كله ، ثم أقام المهدى ع م بعد ذلك يجلس لهم والعساكر ثلثة أيام فانا فى ذلك حتى وصل الخبر بأخذ اليسع بن مدرار ، قال جعفر فسر المهدى ع م سروراً عظيماً وارتج العسكر بالتكبير والزعقات . قال جعفر فلما وصل أمر المهدى ع م بضربه وضرب من معه بالسوط وأخذ أموالهم وقتلهم بعد ذلك ، ما خلا اليسع سأل فيه القائم المهدى بالله صلوات الله عليهما فوهبه له ولم يقتله ، فلم يقم إلا أياماً يسيرة لم يأكل ولم يشرب من شدة الضرب حتى مات ، ولم يكلم أحداً لا رحمه الله

قال ورحل المهدى ع م بالعساكر العظيمة التى لم يجتمع للملك قبله مثلها حتى وصلنا الى بلد كتامة . قال جعفر فأذكر أنا لما اجتزنا ببلد صنهاجة وقد صرنا بقرب الموضع الذى بنيت فيه مدينة أشير سأل عن جبل صنهاجة لما رآه ، قيل له هذا جبل صنهاجة ، قال لنا فى هذا الجبل كنز

قال محمد بن محمد اليمانى مؤلف هذا الكتاب : وكذلك حدثنى من سمع هذا الحديث من جعفر بعد موته بمدة يسيرة بمدينة مصر ولم أسمعه أنا منه

رجع الحديث إلى وصول المهدى ع م إلى بلد كتامة . قال وأخذ الأموال المودعة بها ورحل إلى افريقية فى سنة سبع وتسعين ومائتين ، ولم يبق أحد من أهل افريقية من العرب والعجم من وجوه الناس وغيرهم إلا استقبلوا المهدى ع م يوم دخوله افريقية ما خلا المطلبى والمروردى فانهما لقياه بتاهرت عن القيروان مسيرة عشرين يوماً ، ولقيه بعض وجوه الناس مثل الحسينى والجعفرى ومن عرف بالتشيع بالقيروان من وجوه الناس بباغاية مسيرة ستة أيام عنها

قال جعفر فلما وصل المهدى ع م إلى افريقية نادى بالأمان لجميع الناس فى سائر البلدان ، ونادى بالأمان لعبد الله بن القديم وأيوب خليفة زيادة الله وقت دخول أبى عبد الله ، فلما سمعا بالأمان ظهرا ، وكان أيوب هذا من كبار المتصرفين فى دولة بنى الأغلب . فقرب المهدى ع م عبد الله بن القديم ورد إليه النظر فى جميع الدواوين والأعمال ، فما زال على تلك الحال حتى أدخل نفسه بالتخليط مع نافق من الكتاميين حتى قتل نفسه ، وكان أبو جعفر محمد بن أحمد البغدادى قد ورد من الأندلس قبل دخول المهدى ع م افريقية ، فتلطف فى الخدمة مع المتصرفين فجعل كاتباً فى البيت إلى أن ورد المهدى ع م ، فلم يرد إليه الأعمال والدواوين حتى صار كل شيء ينظر فيه ابن القديم إليه ، ثم بلغ إلى تدبير الملك والنظر فى كبار الأمور وصغارها

قال جعفر وكان سبب هذا الرجل إلى مولانا المهدى ع م أنه كان وصل إلى سجلماسة وقت وصولنا إليها ، فقصد المهدى ع م ومدحه بقصيدة فوصله على ما مدحه وتقدم إليه بأن يكون عنده ويسأله فى حاجاته ، قال جعفر فكان يختلف إليه ويمدحه إلى أن سأله المهدى ع م عن سبب خروجه من بغداد ، فعرفه أن على بن عيسى أراد قتله حسداً له فهرب خوفاً منه ، فدفعته الأسباب الى هذا البلد . قال فامتحنه المهدى ع م حتى عرف عقله وعلمه فوجده كاتباً كاملاً حسن الفهم والبيان ثابت العقل يصلح أن يكون وزيراً ، فأخذ عليه وتقدم اليه بالمسير الى الأندلس ، وقال له لولا أنه لا بد من أن يلحق غلمانى وأتباعى محنة لما تركتك تبرح من عندى ، ولخوفى عليك تقدمت اليك بمفارقتى ، فاذا بلغك أن الداعى ببلد كتامة قد فتح افريقية فلا تقم بالأندلس واقدم الى القيروان . فعمل ما تقدم به اليه فبلغ من المهدى والقائم والمنصور صلوات الله عليهم المبلغ الذى لم يخف على مولانا ع م

قال جعفر ووصل ابو جعفر الجزرى وجعفر الحاجب المعروف بصعلوك — وهو ابن خالى وكنت اسميه اخى — بالحرم الى مدينة رقادة مدينة الملك ذلك الوقت بعد

وصول المهدى اليها ، فسر المهدى ع م سروراً عظيماً وجلس على سرير المملكة وانجز الله وعده على رغم اعداء دينه واعداء اوليائه ، والحمد لله رب العالمين

هذا ما انتهى الى مملوك مولانا وسيدنا أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الطاهرين من خروج المهدى بالله والقائم بأمر الله صلوات الله عليهما وعلى الأئمة الطاهرين من سلمية الى أن وصل الى رقادة ، سمعه من عبد موالينا جعفر بن على الحاجب رحمة الله عليه بعد ان نسى مملوك مولانا اكثره لبعد المدة وتواتر المحن ، صلوات الله وسلامه على مولانا وعلى آبائه وأبنائه الطاهرين الأبرار ، والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً ، وصلواته على خير مبعوث وأكرم موروث محمد نبيه وصفيه وعلى على وصيه وعلى الأئمة من ذريتهما وسلم تسليما كثيراً